جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الموضوع

مقاومة أحمد الشريف السنوسي للأوربيين (1902-1916)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: المغرب العربي المعاصر

إعداد الطلبة:

داودي البشير

حجاج محمد

رباح آمال

إشراف الأستاذ:

د. جفال عمر

السنة الجامعية (1440هـ/1441هـ- 2019م/2020م)

جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

الموضوع

مقاومة أحمد الشريف السنوسي للأوربيين (1902-1916)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: المغرب العربي المعاصر

إعداد الطلبة:
داودي البشير
حجاج محمد
رباح آمال

إشراف الأستاذ:
د. جفال عمر

السنة الجامعية (1440هـ/1441هـ- 2019م/2020م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبائنا وأمهاتنا الذين حرصوا على منحنا كل الرعاية من أجل مواصلة دراستنا ونهدي هذا البحث المتواضع الذي هو جهد بحث مضني وشاق، ولكنه حمل بين طياته منفعة البحث العلمي والتاريخي ومنحنا فسحة حقيقية لدراسة جانب في تاريخ ليبيا.

إلى كل الزملاء الذين وجدنا فيهم كل الاحترام والتقدير كما لا ننسى الطاقم الإداري والبيداغوجي.

داودي البشير

حجاج محمـد

رباح آمـــال

شكر وامتنان

الحمد لله والشكر لله تعالى الذي فتح لنا أبوابه الواسعة وأعاننا لنكمل هذا العمل وعملا بقول خير الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

نتقدم بالشكر الجزيل الى كل من أسدى إلينا النصح ولم يدخر أي جهدا من أجل مساعدتنا على إنجاز هذا البحث المتواضع، وهنا أخص بالذكر الأستاذ المشرف جفال عمر الذي يعتبر قدوتنا وهو الذي اقترح علينا هذا العنوان وكان سندا لنا طيلة مسارنا الدراسي، فكل العبارات لم تستطيع إيفاء هذا الأستاذ حقه، وكما نوجه الشكر والعرفان إلى الأستاذ على بوركنة الذي فتح لنا أبواب بيته في كل وقت ولن ننسى كذلك كل الأساتذة الذين درسونا طيلة الخمس سنوات والذين استفدنا منهم من الجانب المعرفي والجانب المنهجي بالإضافة إلى طاقم الإداري الذي كان دائما يوفر لنا الشروط الملائمة لمزاولة دراستنا،كما لا ننسى أعضاء اللجنة الذين تكبدوا عناء التنقل وقراءة هذا العمل إفادتنا بخبرتهم بتصويبنا وتقويمنا، كما نوجه شكرنا الموصول لكل الطلبة الذين درسنا معهم وكانوا نعمة الإخوة ووجدنا منهم كل الإحترام والتقدير.

قائمة المختصرات باللغة العربية :

ب – ت	بدون تاريخ
ب – ط	بدون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحتان متتابعتان
ص – ص	صفحتان متباعدتين
تر	ترجمة
ع	عدد
ج	جزء
ط	طبعة
س	سنة
م	ميلادي
م ج ل و ت	مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية
هـ	هجري

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية :

Page	P
Imprimerie	Imp

المقدمة

المقدمة:

في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الحركة السنوسية على يد المصلح محمد بن علي السنوسي الذي يرجع أصوله إلى أصول جزائرية، حيث أراد هذا الأخير إصلاح شأن الأمة الإسلامية التي كانت تعاني من التكالب الصليبي الأوربي، وتزامن ظهور هاته الحركة مع تدهور والتخلف الذي شهده العالم الإسلامي، فلقد استمدت هاته الحركة الدينية والجهادية مبادئها من الكتاب والسنة، وحملت لواء الجهاد في شمال إفريقيا وحتى في دواخل إفريقيا وبالتحديد السودان الغربي، والتي اتخذت الحركة من زواياها منابر لنشر الإسلام ومراكز للعمليات الجهادية ضد الدول الاستعمارية ولقد تعاقب على امامة هاته الحركة الكثير من الأئمة ومنهم أحمد الشرف السنوسي الذي محل دراستنا الذي تربع على سجادة الإمامة، وكان رجل سيف وعلم وقلم خاض وسخر كل جهوده من أجل مقاومة الاحتلال الغربي الصليبي ودحر شوكته، وتحرير العقول والأوطان ونصرة الإسلام والمسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا، ولم يكن يعترف أحمد الشريف بالجغرافيا و جبروتها ولا بالتاريخ وبطشه، فخاض عمليات جهادية في ثلاث جبهات، تختلف مع بعضها زمنيا ومكانيا فقاوم الفرنسيين الذين يزحفون في السودان الغربي وخاض معهم معارك ضارية برفقة أتباعه وبعض السلاطين الذين آمنوا بقضيته، فكان مرعب الفرنسيين والسد المنيع الذي عطل من احتلالهم لتلك المنطقة، وما أن بدا الغزو الإيطالي لليبيا حول أنضاره شمالا لمجابهة الاحتلال الإيطالي برفقة الدولة العثمانية، التي كانت تحكم طرابلس الغرب، حيث انه في تلك الأوقات كانت تعاني الضعف والتقهقر، ولما انسحب الأتراك واصل الشريف مقاومة ضد الإيطاليين وكان نعم القائد الفذ والسياسي المحنك، وما إن قرعت الحرب الكونية أجراسها حتى وجد نفسه في مقاومة ثالثة ضد الإنجليز في مصر والتي كانت آخر مقاومة جهادية ضد الأوربيين.

- **دوافع اختيار الموضوع :**

إن اختيارنا للموضوع لم يكن اعتباطا أو بمحض الصدفة وإنما كان نتيجة دوافع منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي :

- إن الأستاذ المشرف كان له الفضل في اختيارنا لهذا الموضوع خاصة وأنه يخوض دراسة في ليبيا المعاصر.
- رغبتنا في دراسة مقاومات أحمد الشريف ضد الأوربيين (الفرنسي، الإيطالي، الانجليزي) .
- إبراز الدور الإصلاحي والديني والجهادي للحركة السنوسية في دواخل إفريقيا.
- توفر المادة العلمية إلى حد ما الشيء الذي شجعنا في دراسة هذا الموضوع.

- **الهدف العلمي من الدراسة:**
- إبراز دور الحركة السنوسية في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى.
- دور أحمد الشريف السنوسي في مقارعة الاستعمار الفرنسي في تشاد، والإيطالي في ليبيا، وحملته ضد الإنجليز في مصر.
- إظهار السياسة الفرنسية في احتلال تشاد و السياسة الإيطالية في احتلال ليبيا والآليات والميكانيزمات التي استعملها أحمد الشريف لمقاومته.
- إبراز التلاحم المغاربي في مقاومة الاستعمار الأوربي وخاصة أن أحمد الشريف ترجع أصوله إلى أصول جزائرية .
- إبراز انعكاسات الحرب العالمية الأولى على مسيرة أحمد الشريف الجهادية.
- **الإطار الزماني والمكاني:**

ان طبيعة الدراسة التاريخية اكاديمية تتطلب تحديد جغرافياً وتاريخياً، وعلى هذا الأساس حددنا هذه الدراسة في المجال الجغرافي الليبي وما جاورها من اقاليم تابعة لمصر وتشاد، ذلك أن الحركة الجهادية كانت منفتحة على الحدود الإقليمية للمجال الحيوي ليبيا، وحصرت زمانيا في الفترة ما بين 1902 - 1916 وهي الفترة الحاسمة في مرحلة المقاومة والجهاد للإمام احمد الشريف السنوسي، غين ان طبيعة الاحداث التاريخية وتسلسها تتطلب علينا الرجوع الى محطات تاريخية قبيل بداية القرن العشرين .

- **إشكالية الدراسة:**

انطلاقا من موضوع الدراسة المتعلق بمقاومة أحمد الشريف السنوسي للأوربيين وما نتج عنها من افرازات تاريخية وسياسية عمدت هذه الدراسة للبحث عن الدور الجهادي للسنوسية في لبيبا في الفترة ما بين 1902-1916،واندرجت عنها إشكاليات فرعية تمحورت حول.

- ما هو موقف أخمد الشريف من الزحف الفرنسي في تشاد؟ وما هي استراتيجيته لمجابهة الاستعمار الفرنسي؟
- ما هي دوافع احتلال ايطاليا لليبيا ؟ وكيف كانت ردة فعل أحمد الشريف لهذا الاحتلال؟
- ما هو موقف أحمد الشريف من الحرب العالمية الأولى ؟ وكيف أقحم في الحرب ضد الإنجليز في مصر؟
- لماذا فشلت حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز ؟ وكيف انعكست على مساره الجهادي ضد إيطاليا.

- **منهج المتبع في الدراسة :**

لقد اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وهذا من خلال تتبع مراحل مقاومات أحمد الشريف وسرد أحداثها ووصفها والتعرف على أهم المعارك التي خاضها سواء مع الفرنسيين في تشاد أو الإيطاليين في ليبيا ومع الإنجليز في مصر، بالإضافة إلى الاستراتيجية التي اتبعها هو أعوانه في مجابهة الأوربيين، وإبراز المطبات التي وقع فيها، إما عن طريق الخيانة التي تعرض لها أو عن طريق الظروف القاهرة التي عاشها.

- **الخطة المتبعة للدراسة:**

لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع خطة شملت مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ويمكن أن نوجزها في ما يلي:

المقدمة:

عرفنا فيها بالموضوع والدراسات السابقة أهمية الموضوع والإشكالية الرئيسية والمنهج المتبع والمصادر التي اعتمدنا عليها وأخيرا الصعوبات التي واجهتنا.

الفصل التمهيدي:

تطرقنا فيه إلى لمحة تاريخية لليبيا قبل الاحتلال تضمن أولا دراسة في جغرافية ليبيا أصل التسمية الموقع المساحة التضاريس والمناخ الأقاليم وأهمية الموقع، ثم المبحث الثاني الذي تطرقنا فيه إلى الطريقة السنوسية تعريفها مؤسسها وخصائصها ومبادئها أهم أئمتها وموقف الدولة العثمانية منها، وفي المبحث الثالث تطرقنا إلى أوضاع ليبيا قبل الاحتلال الوضع السياسي الوضع العسكري والوضع الاقتصادي الاجتماعي والثقافي.

الفصل الأول:

تطرقنا إلى ثلاث مباحث المبحث الأول انتشار الحرب السنوسية في الصحراء الكبرى، المبحث الثاني جهاد أحمد الشريف في فترة إمامة المهدي، المبحث الثالث مقاومة أحمد الشريف للفرنسيين في تشاد.

الفصل الثاني: سلطنا فيه الضوء على اتفاقية المبحث الأول اتفاقية التسوية الدولية ودوافع احتلال ليبيا، المبحث الثاني السياسة الاستعمارية في احتلال ليبيا ومواقف الدول الأوربية، المبحث الثالث أحمد الشريف ومقاومته للايطاليين.

الفصل الثالث:

وتناولنا فيه المبحث الأول ليبيا والحرب العالمية الأولى، المبحث الثاني حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر، المبحث الثالث أسباب التي إلى فشل حملته وانعكاساتها على مساره الجهادي ضد الإيطاليين.

- **مصادر ومراجع الموضوع:**

المصادر: اعتمدنا على العديد من المصادر:

- أولا المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لصاحبه أحمد بك الأنصاري الذي تناول فيه التعريف بالإمام محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية
- السنوسي الكبير محمد الطيب الأشهب الذي تناول فيه كذلك بالتعريف أحمد الشريف السنوسي.
- شارل فيرو الحوليات الليبية الذي تكلم فيها عن مراحل الحكم في طرابلس الغرب.
- الزاوي الطاهر أحمد جهاد الأبطال في طرابلس الغرب والذي أفادنا في وقائع الحرب الليبية الإيطالية.

المراجع:

- أما بالنسبة للمراجع فاعتمدنا على الكثير ونختصر منها ما يلي: تاريخ الجزائر الثقافي لصاحبه أبو القاسم سعد الله الذي اعتمدنا عليه في الفصل التمهيدي.
- السنوسية دين ودولة لصاحبه محمد فؤاد شكري الذي اعتمدنا عليه في الفصل الأول في مقاومة أحمد الشريف ضد الفرنسيين .
- الغزو الإيطالي لليبيا لعبد المنصف الحافظ البوري والذي اعتمدنا عليه في الفصل الثاني لمعرفة أسباب الاحتلال الإيطالي.
- الحركة الوطنية في شرق ليبيا مصطفى هويدي، والذي أفادنا كثيرا في الفصل الأخير في معرفة حيثيات حملة أحمد الشريف ضد الانجليز .

علاوة على ذلك اعتمدنا على الكثير من المراجع العربية، نذكر منها جلال يحي المغرب العربي الكبير، وكتاب تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا لصاحبه علي محمد الصلابي وتاريخ العرب الحديث لصاحبه رأفت الشيخ، تاريخ حرب طرابلس لصاحبه محمد إبراهيم لطفي المصري، بالإضافة إلى مراجع أجنبية أخرى ومقالات منشورة في مجلات محكمة مثل : سلام محمد علي حمزة ألأسدي الغزو الإيطالي لليبيا.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث المستمر والتفتيش الجاد عن بعض الدراسات السابقة التي تخدم الموضوع وجدنا بعض الرسائل التي تناولت جانبا من الموضوع ونذكر منها مذكرة لنيل شهادة الماجستير البعد المغاربي للطريقة السنوسية لصاحبها دحي مسعود ومذكرة لنيل شهادة الماجستير الاحتلال الفرنسي لتشاد (1890م-1920م) لصاحبها بلمبروك النوي، وكذلك مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه الطريقة السنوسية من (1911م-1951م) وموافقتها من قضايا العصر محليا إقليميا دوليا لصاحبتها بزبوجة سميرة، والتي تناولت بشكل مختصر موقف أحمد الشريف من الاحتلال الإيطالي وحملته ضد الإنجليز في مصر.

صعوبات البحث:

إن أي بحث أكاديمي لا يخلو من الصعوبات والعراقيل مثل:

- عدم وجود كتب متخصصة تتكلم بشكل مسترسل على هذا الموضوع فكان علينا جمع تلك الأفكار من عدة كتب.
- معظم الكتب التي اعتمدنا عليها هي كتب إلكترونية ولم نجد كتب مطبوعة التي تعطي للباحث حلاوة التعامل مع المادة العلمية.
- صعوبة الترجمة اللغة الإنجليزية إلى العربية.
- الظروف الصحية التي واجهت العالم عامة والجزائر خاصة إثر هذه الجائحة التي أعاقتنا في سيرورة البحث في المكتبات.

وفي الاخير نجدد شكرنا للدكتور جفال عمر المشرف على هذا العمل من بدايته حتى اكتمل على ما هو، كما نشكره على التصحيح والتصويب لفصوله، وعلى كل جهد بذله في بناء الشخصية العلمية لطلبته، ما نشكر اعضاء اللجنة المحترمة على متابعة هذا العمل وتنقيحه، كما نامل ان يساهم هذا العمل في اماطة اللثام عن تاريخ لبيبا في محطة هامة من تاريخها المعاصر .

الفصل التمهيدي

لمحة تاريخية عن ليبيا

قبل الاحتلال

المبحث الأول:دراسة جغرافية لليبيا

1- أصل التسمية:

لقد اختلفت المواقف و التحليلات بين المؤرخين في أصل التسمية لليبيا فكانت كالتالي: فقد تضاربت الأقوال أن لفظ ليبيا غير عربي ولم يعثر بعد عن حقيقة اللغة التي أخذ منها غير أن هيرودوت يقول: " أنه في الأصل كان اسم لإمارة بقبيلة من سكان إفريقية " ، ويقول غير هيرودوت من المؤرخين: " معناها الأرض الصحراء التي ليس فيها ماء ". وقد عرفت بهذا الاسم من أيام الفراعنة القدماء.

وفي الزمان الأولي قبل مجيء المسيح عليه السلام كانت بعض الأمم تريد بها جميع البلدان المغربية أو جزءا كبيرا من الشمال الإفريقي[1]، وهناك من يقول أن اسم ليبيا : في معناه الحديث و المعاصر هو من إبداع الإيطاليين الذين استعاروه من الجغرافية القديمة، فقط أطلق اليونانيون القدماء اسم ليبيا على شمال إفريقيا قاطبة، بينما استعمل الإيطاليون هذه الكلمة على المناطق الواقعة بين مصر و تونس، وهي طرابلس الغرب، برقة و فزان[2].

كما كان الإغريق القدماء يسمون كل الشمال الإفريقي إلى الغرب من مصر، ليبيا و المناسبة الوحيدة قبل العشرين التي أطلق فيها اسم ليبيا علي مناطق بعينها كانت حوالي 300 م، عندما كون الإمبراطور ديو فلتان ولايتي ليبيا العليا و ليبيا الدنيا [3] في الجزء الشمالي من برقه، ولكن كلمة ليبيا كانت مقبولة دائما كمرادف جغرافي لطرابلس أو بلاد البربر للدالة عن الجزء الأوسط من الشمال الإفريقي، ولم تتوحد ولاية طرابلس ولاية برقة إلا سنة 1934 م، و عندما أكمل الإيطاليون عملية احتلالهم لهما و أسموهما بمستعمرة ليبيا، وظلت محتفظة بهذا الاسم بعد الاستقلال 1951م [4]. كما أطلق اليونانيون اسم ليبيا على البقاع الأولى التي تعرفوا عليها من المناطق الواقعة غربي مصر، و يعتقد بأن الاسم مشتق من كلمة (ليبي) التي كانت تعني الشعوب التي تسكن الحدود المشتركة بين

---

[1]- محمد بن المسعود، تاريخ ليبيا العام من القرن الأول إلى العصر الحاضر، تقديم، فاضل المسعودي، ط1، طرابلس الغرب المطبعة العسكرية، 1948، ص 2.

[2]- أحمد اسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص 22.

[3]- عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور من الفتح الإسلامي، ج1، تامغناست، ب س، ص6.

[4]- المرجع نفسه، ص7.

ليبيا و مصر، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية مشتقة من اسم (لواتة، لبتاتة، ليبو) . أما في العهد الروماني فإن كلمة ليبيا تعني جزءا كبيرا من إفريقيا الشمالية، لكن دون تحديد جغرافي[1].

2- الموقع والمساحة:

تمثل ليبيا الجزء الأوسط لساحل الأبيض المتوسط الجنوبي أو شمال إفريقيا، يحدها شرقا مصر وشمالا البحر المتوسط وجنوبا وغربا الجزائر وتونس وجنوبا الصحراء الكبرى.[2] يبلغ مساحتها حوالي 1757000كلم^2 وتبلغ طول حدود الأراضي الليبية 65000 كلم منها 4600 كيلومتر حدود برية أما الباقي 1900 الساحل المتوسط الممتدة ما بين بئر الرملة في الشرق متى رأس أجدير في الغرب.

وبذلك تعتبر ليبيا من الدول العربية التي لها واجهة بحرية كبيرة، وتعد سواحلها من أطول السواحل على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط.

يبلغ طول حدودها مع تونس 500 كلم والنيجر 150 كلم وتشاد 1090 كلم والجزائر 1200 كلم ومصر 1094 كلم والسودان 400 كلم[3].

أما فلكيا : فهي تنحصر بين دائرتي عرض 33° و 45° و 18° شمالا ويحدها غربا خط طول 9° وشرقا خط طول 25° شرقا . أي أن مدار السرطان يمر بالأجزاء الجنوبية[4].

3 – المناخ والتضاريس:

تمثل نسبة السهوب والصحاري في ليبيا نسبة 95 % من المساحة الكلية[5]، فتشتدد الحرارة في فصل الصيف في المناطق الساحلية وتزداد كلما اتجهنا نحو الجنوب إذا استثنينا المناطق ذات الارتفاع العالي كالجبل الأخضر في برقة، حيث أن درجة الحرارة فيها معتدلة أما درجة الحرارة في الشتاء فتكون معدلها 16° أن نسبة تساقط الأمطار فلا

[1]- إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح حتى سنة 1911م، ترجمة وتقديم، خليفة محمد التليسي، ط2، دار العربية للكتاب، 1991، ص 24.

[2]- انظر الخريطة الجغرافية لليبيا الملحق رقم واحد، ص 87.

[3]- جمال حمدان، الجماهرية العربية الليبية الشعبية العظمى دراسة في الجغرافيا السياسية،دط،مكتبة مديوني، القاهرة، 1996،ص 27

[4]- عبد الرزاق علي الرحيبي، السكن والتنمية في ليبيا (1999، 2009)، أطروحة دكتوراه، منشورة كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة منتوري، قسنطينة (2005-2006)، ص 33.

[5]- بروشين نيكولاي ابليتش، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969،تر عماد حاتم مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية 2000، ص21.

توجد كميات كبيرة إلى في منطقة برقة وجوانب مدينة طرابلس فتصل الأمطار إلى 400 ملم وبرقة تصل 500 ملم. أما الإنتاج الزراعي فيكاد محصور في منطقة برقة وطرابلس، ويتمثل في الحبوب و الخضروات والكروم والزيتون، أما المناطق الجنوبية فينتشر فيها أشجار النخيل.

أما بالنسبة لتربية المواشي والحيوانات فيهتم سكانها بالرعي وتربية الحيوانات وخاصة في برقة مثل الإبل والأغنام والماعز، أما الثروة المعدنية في الفوسفات والملح، الجبس.

ونجد هناك عدة عوامل تأثر بهم المناخ في ليبيا إن معظم مساحتها عبارة عن صحراء كما قلنا سابقا، ولها واجهة بحرية كبيرة، كما أن ليبيا تعاني من قسوة المناخ الصحراوي الذي يتميز بالجفاف، حيث أن نسبة التساقط لا تتجاوز 200 ملم إلا في مساحات قليلة مثل برقة من 500 إلى 600 ملم وطرابلس 300 ملم، وتقل الأمطار في جنوبها.

إما بالنسبة الحرارة مرتفعة في الصيف حيث تزيد عن 40° في الوسط والجنوب وتنخفض الحرارة في فصل الشتاء 50°م أي أن المدى الحراري كبير.

ولقد أثرت ظروف ليبيا المناخية على النباتات الطبيعية ففي منطقة الجبل الأخضر بإقليم برقة تنمو شجيرات البحر المتوسط ففي أعلى الجبل تنمو أشجار السرو والعرعار وهناك مناطق أخرى جرداء خالية من النباتات وذلك سبب الظروف المناخية[1] .

بالرغم في كون ليبيا تمثل جزء كبير من الصحراء إلا أنها تشمل على أنواع مختلفة من التضاريس ففي جنوبها توجد هضبة تاسيلي و القباب البركانية لتبستي التي يصل ارتفاع إحدى قممها (جبل مروي) إلى 3140م.

أما الوسط فتتخله أحواض توجد بها عروق مثل عرق مرزوق وتبستي وسهول شاسعة مثل بربر الصحراء الليبية في حين تتكون الهضاب من الأجزاء المرتفعة من السطح كالحمادة الحمراء التي تغطي مساحة تقدر بـ:100.000كلم، والتي تمتد من جنوب طرابلس في الشمال حتى الحافة الشمالية لحوض فزان في الجنوب.

في شمال ليبيا تمثل السهول الساحلية التي يختلف اتساعها من مكان إلى مكان آخر بحين الطريق المحلية للمناطق الجبلية بينما يتسع السهل الساحلي في بعض المناطق بحيث يزيد عرضه عن 100 كلم كما هو الحال في

[1] – أحمد اسماعيل راشد، المرجع السابق، ص 21.

القسم الغربي من سهل الجفارة، نجد أنه يضيق في بعض الأماكن الأخرى، حيث تشرف المرتفعات في مياه البحر مباشرة كما هو الحال في معظم المنطقة الغربية من الحدود المصرية، ويتخلل شمال ليبيا بعض المرتفعات التي تنحدر صوب الجنوب بينما يظهر للقادم من البحر كأنها جبال مرتفعة مثل الجبل الأخضر ونطاق طرابلس الجبلي وهضبة البطنان والدفنة[1].

4- الأقاليم الجغرافية لليبيا:

منذ العصور الغابرة كانت ليبيا مقسمة إلى ثلاثة أقاليم، ليبيا الشرقية برقة وليبيا الغربية طرابلس وليبيا الجنوبية، فزان[2].

إقليم طرابلس: وتقع في الجهة الغربية، تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة أضعاف من مساحة الكلية نقع بين البحر المتوسط شمالا وآخر بقية الغربية الاستوائية والغربية جنوبا وبين مصر شرقا وتونس غربا ويشمل على جزء كبير من الصحراء الممتدة شرقا حتى وادي النيل وغربا حتى جبال الأطلس ويمثل سكانها90 من مجموع السكان.

إقليم برقة: بين صحراء مصر الغربية شرقا وطرابلس الغرب غربا ويمتد جنوبا حتى نواحي السودان المصري الإنجليزي وأفريقيا فرنسا الاستوائية وأكثر مساحتها صحاري عدا الجزء الشمالي الذي يتكون من السهول الخضراء وأشهرها منطقة الجبل الأخضر [3].

إقليم فزان: تقع بين الجزائر وتونس غربا وإفريقية الغربية الاستوائية جنوبا وإقليم برقة شرقا وإقليم طرابلس الغرب شمالا وهي عبارة عن منخفضات رملية فاصلة يتخللها بعض الواحات التي توجد بها أشجار النخيل. [4]

5- أهمية موقع ليبيا:

يعتبر موقع ليبيا استراتيجي على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، فهي دولة عربية إفريقية،[5] وطول ساحلها المقدر 1900 كلم كان له الأثر البالغ على الوضع السياسي والسكاني والتاريخي.

---

[1] – جودة حسنين جودة، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1982، ص65.

[2] – محمد بن المسعود، المرجع السابق، ص 15.

[3] – راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط3، المملكة الليبية المتحدة، سنة 1952، ص 17.

[4] – انظر خريطة الأقاليم في ليبيا، الملحق رقم اثنين، ص 88.

[5] – محمد المبروك المهداوي، جغرافيا ليبيا البشرية، ط 3، قسم الجغرافيا جامعة قار يونس بنغازي، 1998م، ص 13.

- أنها صلة وصل بين المشرق والمغرب العربيين للروابط التاريخية المشتركة واللغوية الواحدة والرابط الديني ولعبت أرضها دورا مهما في الفتوحات الإسلامية للشمال الإفريقي، وكذلك دواخل القارة الإفريقية.
- الموقع المتميز على الساحل المتوسط يمثل حلقة وصل بين دول أوربا وأواسط إفريقيا وطرق للقوافل التي كانت تنقل التجارة بين الصحراء تنطلق من الغرب الشمالي الغربي لتشاد وتنتهي في فزان مرورا كذلك بكوار ومن هنا كان من السهل الوصول إلى طرابلس وتونس وبنغازي، ومصر.[1]

إن الحيز الجغرافي الذي تحتله ليبيا وامتدادها على الساحل الجنوبي لحوض البحر الأبيض المتوسط وتأثرها المباشر بما شهده هذا لحوض من حضارات تقع وسط العالم القديم، وهذا ما مكنها من التواصل والترابط مع شعوبه، وما بنوه من مجد وحضارة أثر في حياة سكانها وجعل هذه المنطقة عرضة للأطماع الاستعمارية.[2]

المبحث الثاني: الطريقة السنوسية ومؤسسها:

1- تعريف الطريقة السنوسية:

تعتبر السنوسية من أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في إقليم برقة، مؤسسها هو الشيخ محمد بن علي السنوسي، الذي تعمق في الأمور الدينية، وتعلم الطرائق الصوفية الأخرى على يد مشايخها فذاع صيته في أرجاء المعمورة وتوسعت أهدافه وكان مستاء لما يجري للعالم الإسلامي من تخلف وانحطاط، والتكالب الأوربي على العالم الإسلامي الذي تزامن مع ظهور حركته، فسخر وقته وسبل حياته من أجل تقويمهم وهدايتهم وإرجاعهم إلى السكة الصحيحة فكانت السنوسية النور الذي أضاء على المسلمين[3].

فهاته الطريقة متاحة لكل المسلمين ويتبعها من يشاء وينقسم أتباعها بين الخواص و الإخوان و المريدون ولا يوجد فروق بينهم سوى معيار العلم والإخلاص، فهي لا تجيز تقديس المشايخ والأحياء والأموات.

[1]- جان كلود زليفر، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا، 1500، 1799 اورودجي تدر، جاد الله عزوز الطلحي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراتة، 2001، ص20.

[2]- عبد الرزاق على الرحيبي، أهمية الموقع إستراتيجية المكان، **المجلة الجامعة**، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، العدد الثامن، 2006م، ص 212.

[3]- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة 1998، ص 10.

لقد كان شعارها هو العمل بالكتاب والسنة، ومحاربة الخرافات والبدع ومكان العلم هو سبيلها لكي تأخذ حيزا ومكانة في قلوب المسلمين و ووقفت حاجزا منيعا في وجه التكالب الأوربي على الديار الإسلامية، وهذا إما عن طريق تحرير الأفكار أو الجهاد وتقديم المساعدة المعنوية والمادية [1].

2- مبادئ وخصائص الطريقة السنوسية:

كانت تدعو الطريقة السنوسية إلى الإسلام الصحيح الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لا الإسلام الذي دخلت عليه البدع وأن القرآن والسنة النبوية الشريفة هما الأصليين الذين يتم الاعتماد عليهما في الفهم الصحيح للعقيدة، دون الإجماع والقياس المتأخرين.

كما اعتبر السنوسي أن باب الاجتهاد ما زال مفتوح ولم يقفل ويجوز الاجتهاد على أن يكون نابعا من القرآن والسنة[2] .

وتنقية العقيدة وتصفيتها من البدع والخرافات والشوائب ويتم ذلك إلى العودة الصحيحة للإسلام وفهمه فهما سليما، كما أن الطريقة السنوسية لا تسمح بكل الطقوس والممارسات التي كانت مباحة في بقية الطرق الصوفية الأخرى، كالتبرك والغناء والرقص والتضرع للمشايخ والقبور.

ولقد كانت الطريقة السنوسية تجمع بين العمل والعبادة والعلم وأن يكون المسلم يجمع بين هاته الصفات، بالإضافة أن هاته الطريقة تريد توحيد المذاهب ونشر الإسلام إلى كل البقاع التي لم ترى نور الإسلام، والوقوف في وجه الغارات الأجنبية التي تعرض لها العالم الإسلامي[3].

ترمي الطريقة السنوسية إلى إقامة الصلة بين الفرد والرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة فهاته الطريقة تؤمن بإمكانية الإتحاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهدفها هو ذلك، وكان شيخ السنوسية يأمر أتباعه بقراءة صحيح البخاري والموطأ وبلوغ المرام في الحديث ورسالة أبي زيد القرواني في الفقه والرسائل السبع في التصوف.

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص256.
[2]- نيقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص 46.
[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 257.

بالإضافة إلى قهر النفس ومخالفتها وهذا بإذاقتها البؤس والحرمان وكذلك ذكر الله في الليل والنهار حتى تنور قلوبهم، وذكر الله عن طريق الأوراد وهذا باستعمال السبحة وأوراد الطريقة هي القرآن الكريم ثم الاستغفار والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1].

مؤسس الطريقة:

هو الشيخ محمد بن علي السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحي ين راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمان بن يوسف بن زيان بن زين العابدين ين يوسف بن حسين بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب الهاشمي القريشي.

مولده ونشأته:

ولد الإمام الأول للطريقة السنوسية في 12 ربيع الأول 1202هـ الموافق لـ 22 ديسمبر من عام 1787م والذي سمي محمدا [2]، في ضفتي وادي الشلف في بلدة مستغانم التي تقع في الساحل الغربي للجزائر.[3] نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والدين بالاستقامة، فقد توفي أبوه ولم يتجاوز السنوسي عامين فنشأ وتربى على أيدي عمته فاطمة التي كانت من فضليات أقرانها علما وأخلاقا أحسنت فاطمة تربية ابن أخيها فغرست فيه حب المعرفة والتوحيد بعد أن حفظ القرآن وأظهر السنوسي شغفا عظيما في تحصيل العلوم فأخذ يطلب العلوم في مستغانم ثم مازونة، ثم إرتحل إلى تلمسان وأقام بها ما يقارب مدة سنة و تتلمذ على يد مشايخها وبعدها شد الرحال وحزم أمتعته إلى مدينة فاس المغربية.

رحلته نحو فاس: شد السنوسي الرحال إلى مدينة فاس ومكث فيها ما يقارب سبعة سنوات، فنهل العلوم على يد أكبر مشايخها مثل الشيخ حمودة بن الحاج وسيدي حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج وسيدي الطيب الكيراني وغيرهم من المشايخ، وكان السنوسي لا يدع أية فرصة تضيع دون التبحر في معرفة الطرق الصوفية الأخرى

[1]- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية شأنها ونموها في القرن 19، دار لبنان للطباعة والنشر، ليبيا، 1967، ص ص246،245.

[2]- أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني ليبيا، ب ت، ص ص، 369،368.

[3]- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ط3، بيروت دار المعرفة لبنان، سنة2009، ص 22.

بالإضافة إلى التفقه في علوم الدين، ولم يلبث السنوسي طويلا حتى أعطيت له الإجازة في العلوم التي تعلمها وكان جدير بذلك وأهل لها وأعطت له المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامع الكبير بفاس إلا أن حكومة السلطان مولاي سليمان شعرت بخطر السنوسي فراقبته عن كثب لذلك قرر الرحيل عنها عام (هـ1245- م1829) [1].

أسباب مغادرته فاس:

اختلف المؤرخون في تاريخ مغادرة ابن السنوسي فاس وإنه يذكر صاحب الاستقصاء أن فتنا ظهرت في فاس والصراع الذي وقع بين القاضي والمفتي بالإضافة إلى خروج أهل فاس عن السلطان و اقتناع بن السنوسي أنه أخذ ما يكفي من الدراسة من مشايخها وعلمائها وتوقه لطلب العلم جعله يرتحل من منطقة إلى أخرى بالإضافة إلى رغبته في السفر إلى مكة المكرمة والتعلم على يد مشايخها والأخذ عنهم ولهذا غادر السنوسي فاس. وفي طريق عودته مر بصحراء الجزائر وتعرف على طرقها الصوفية، حتى بلغ عين مهدي[2] ثم الأغواط فمدينة الجلفة وبعد ارتحل إلى مسعد وتزامنت أقامته هناك مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقرر الرجوع إلى مسقط رأسه لمقاومة الاحتلال الفرنسي لكنه تراجع عن رأيه وقرر مواصلة رحلته إلى المشرق[3].

لقد كان تفكير بن السنوسي للسفر إلى مكة نابعا من رغبته في طلب العلم وتوقه إلى زيارة بيت الله الحرام والعيش مدة طويلة في تلك الأرض المقدسة، وتذكر بعض المصادر أن ابن السنوسي قبل سفره تزوج بإحدى بنات عمومه والتي قررت عدم الترحال معه فطلقها وكان له منها طفل وتوفي.

دخل ابن السنوسي تونس، ثم قابس وجامع الزيتونة الذي تعلم على يد مشايخها واستفاد الطلاب منه ثم واصل سيره إلى أن وصل إلى طرابلس الغرب مكث فيها واشتغل بالوعظ والإرشاد لسكانها وبعدها أنتقل إلى برقة واستمر في رحلته إلى الصحراء بواسطة القوافل إلى أن وصل إلى القاهرة[4].

أقام بن السنوسي في القاهرة لبعض الوقت، وكانت نيته التعلم على يد مشايخها والتعرف على علماء الأزهر الذي كان في ذلك الوقت حاضرة و مركزا علمي يتعلم فيه أكبر العلماء، فلقد أخذ ابن السنوسي

[1]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 14.

[2]- تسمى حاليا بعين ماضي تبعد عن الأغواط، بحوالي سبعين كيلو متر للمزيد ينظر:
Georges hertz, L'Algérie des nomades et ksourienne , Imp. a. Robert, Marseille, 1989.P158.

[3]- أحمد صدقي الدجاني المرجع السابق، ص ص 55، 56، 57.

[4]- على محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص، 30، 31.

الإجازات العلمية وأذكار الطرق الصوفية، لقد كان متطلعا على الجو العلمي الذي يسود مصر، حيث كانت الحركة التجديدية بين مؤيد ومعارض، وخاصة أن مصر تأثرت بالغرب وخاصة بفرنسا.[1]

لقد كان علماء الأزهر يبحثون، عن مصالحهم ويتقربون بين الحكام تزلفا وغلبت عليهم المصالح الخاصة وحتى الأزهر الشريف تراجع دوره نظرا لاعتماده على التقليد وهذا ما حز في نفس ابن السنوسي خاصة وأنه لقي معارضة شديدة من علماء الأزهر وهذا بسبب معالجته لبعض الأمور الفقهية ووصلت بهم لدرجة تكفيره، ولهذا قرر مغادرة القاهرة وهذا لعدة اعتبارات، أن النشاط الصوفي لم يكن موجود في الأزهر، وأن السلطة ولم يكن يتوافق معها علاوة أنه كانت له الرغبة في أداء مشاعر الحج.[2]

رحلته إلى الحجاز:

دخل ابن السنوسي الحجاز عام (1240 هـ– 1825م) ودخل مكة المكرمة ولقد كانت تلك الزيارة ذات أثر كبير في قيام الدعوة السنوسية[3]، قد تعرف على العلماء وأخذ عنهم وهذا بعض النظر عن مذاهبهم الفكرية واختلافاتهم الأيدولوجية، فمنهم من كان صوفيا، ومالكيا، وسلفيا، ووهابيا، وهذا ما جعل له فكرة وتصور على كل الأيديولوجيات ولعل أهم العلماء الذين أخذ عنهم هم الشيخ سليمان العجمي، ومولاي عبد الحفيظ بن محمد والشيخ أبي حفص بن عبد الكريم العطار، ثم الإمام ابن العباس احمد بن عبد الله بن إدريس الفاسي مؤسس الإدريسية، والذي تأثر به ورافقه سنوات، إلى أن رحل إلى ليبيا بسبب معارضة علماء مكة له وسافر معه السنوسي وأقام معه إلى حين وفاته[4].

بعد وفاة أحمد بن إدريس رجع ابن السنوسي إلى مكة المكرمة وأقام بها أول زاوية في جبل أبي قيس سنة 1835، فكانت منارة علمية لتلقين دروسه ومواعظة[5]. إن رحلته الأولى إلى بلاد الحجاز والتي قضى بها ما يقارب خمسة عشر سنة كان له تأثير واضح على مريديه وطلبته فكسب ودهم وذاع صيته وأصبح اسمه على كل لسان وفي كل مجمع، وهذا ما حرك السلطات الحكومية، وشعرت أنه يسبب لها خطر وخاصة أنه مع اتصال مع أبناء

[1]– أبو القاسم سعد الله، مرجع السابق، ص 243.
[2]– الدجاني، المرجع السابق، ص 55.
[3]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 47.
[4]– محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 27.
[5]– نفسه، ص 21.

محمد بن إدريس الذين كان لهم فكر سلفي ولم ينتشغل ابن السنوسي خلال إقامته بمكة من قضية بلدته وحثهم على الجهاد ويذكر أنه أثناء إقامته بالحجاز تزوج مرة ثانية بالسيدة خديجة الحسنة والتي كانت من فضليات النساء ولقد تبلورت لدى السنوسي فكرة مغادرة مكة وهذا بعد وفاة شيخه إدريس والخلاف مع بعض المشايخ و رغبته في الجهاد برفقة أبناء جلدته.[1]

رجوعه إلى المغرب:

غادر بن السنوسي الحجاز وهذا لعدة أسباب ذكرناها سابقا في عام 1840.[2] اكتملت شخصيته وأصبح الطريقة السنوسية طريقة صوفية خاصة به وأصبح يلقيها لمريديه، دخل مصراتة ثم قابس، بحيث كان ينوي الدخول إلى الجزائر إلا أن تخوفه والتدابير التي قامت بها السلطات الفرنسية حالت دون ذلك، مما اضطره إلى العودة إلى طرابلس وساهم في مساعدة المقاومات الشعبية وهذا بمدها بالأسلحة والأموال ولعبت الطريقة السنوسية دورا مهما في مساعدة المقاومات الشعبية في الصحراء الجزائرية وهذا عن طريق مريديها .

وأسس بن السنوسي أول زاوية في طرابلس الغرب سميت بالزاوية البيضاء في بنغازي وهي تقع في أعالي الجبل الأخضر، وهناك عقد قرانه الثالث من بنت أحمد بن فرج الله الفيدوري وأناب الله عليه بولدين محمد المهدي ومحمد الشريف السنوسي اللذان كانا لهم دور كبير بعد وفاته أبيهم. وبعد أن استقر في الزاوية وثبت أقدامه وزادت شهرته فقرر الرحيل إلى الحجاز.[3]

الرحلة الثانية إلى الحجاز:

ارتحل بن السنوسي مرة ثانية إلى الحجاز وهاته المرة فأقام بها حوالي ثماني سنوات وكان نشاطه مفعم بالوعظ والإرشاد ونشر دعوته وإنشاء زواياه التي كان لها دور كبير في تعليم القبائل وتربيتهم وتهذيب أخلاقهم، إلا أن هذا لم يمنعه من التواصل بمريديه في برقة[4].

وأرسل ابن السنوسي طلبه لقدوم ابنة المهدي من طرابلس، وحينها كان قد تروج الرابعة في مكة، وعاد من مكة إلى المدينة وهناك طلب من ابنيه المهدي ومحمد الشريف وأمه المجيء إلى المدينة وقام بأداء مناسك الحج مع بعض مريديه وأتباعه وألح عليه أتباعه عن الرجوع معهم وعاد معهم سنة 1856م، وغادر الحجاز واستقر في

[1]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 98.

[2]- محمد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، القاهرة، مطبعة محمد عابق ميدان الجريتل، دط دت، ص 103.

[3]- شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ط1، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1977،ص 365.

[4]- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق،ص61.

زاويته البيضاء ونقلها بعد ذلك الجغبوب لأنها كانت تتوسط الأقاليم برقة وطرابلس وحتى الصحراء الكبرى وهنا أصبحت الجغبوب منارة علمية تستقطب معظم الطلاب من كل المناطق وحتى من الصحراء الكبرى[1].

وفاته : توفي الإمام السنوسي يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس[2] .في التاسع من صفر سنة 1277 هـ الموافق لـ: 07ديسمبر 1859 ودفن في الجغبوب بعد صلاة الجمعة.

ولقد ترك ابن السنوسي مجموعة من المؤلفات التي تعبر عن ومنهجه وطريقته التي أسسها واختلف المؤرخون في عدد الكتب المطبوعة فمنهم من يقول إنها تسعة كتب ومنهم من يقول خمسة وآخرون يقول ثمانية كتب: لعل أهم كتبه المطبوعة:

- الدرر السنية في أخبار الدلالة الإدريسية.
- رسالة مقدمة موطأ الإمام مالك.
- إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.
- شفاء الصدر بأرى المسائل العشر.
- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق.

3- أئمة الحركة السنوسية:

محمد المهدي: (1260هـ – 1844م)، (1320هـ – 1902م).

محمد المهدي هو ثاني إمام للطريقة السنوسية وهو الابن الأكبر لمحمد بن علي السنوسي وخلفه في إمامة الطريقة بعد وفاته، ولد بالجبل الأخضر في الزاوية البيضاء في شهر ذو القعدة 1260هـ الموافق لـ 1844م. ويذكر أحمد الشريف في تاريخه أن والده فرح فرحا كبير بولادته وكتب لعمران بن بركة بتسمية محمد المهدي، وبعد مدة أرسل لزوجته للقدوم إلى درنة حيث كان يقيم ابن السنوسي وسلم ابنه إلى المرضعة.[3]

[1]- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق، ص67.
[2]- الدجاني المرجع السابق، ص124.
[3]- نفسه، ص 169.

طفولته:

بقي ابن السنوسي في درنة بجانب أهله إلى أن ولد ابنه الثاني سنة 1846 ثم رحل إلى الحجاز، وتعهد بتربية ولديه للإخوان السنوسيين وعندما ابن المهدي الخامسة من عمره أرسل إليهم بأن يدخلوه الكتاب ويعلموه الصلاة[1].

وعندما أتم السن السابعة من عمره انتقل إلى الحجاز، بقي مدة يتعلم على يد كبار الإخوان وشيوخ السنوسية بزاوية أبي قبيس بمكة المكرمة، حتى أرسله والده إلى زاوية الجغبوب في ربيع الأول 1274هـ الموافق لـ أكتوبر 1857م وفي هاته الفترة أظهر المهدي شغفا كبير لطلب العلم وتحصيل المعارف وكان كبير الورع والزهد.

مبايعته:

عندما توفي محمد بن علي السنوسي في صفر (1276هـ – 1859م) كان محمد المهدي يبلغ حوالي 16 عاما فسارع كبار المشايخ إلى مبايعته وكان على رأسهم عمران إبن بركة وأحمد الريفي، وكانت المبايعة قبل أن يدفن والده.

سار عن نهج والده في الجانب الدعوى وإصلاح أحوال المسلمين وفي فترته ازدهرت الحركة السنوسية و وصلت إلى أوجها وضاع صينها إلى أواسط إفريقيا وغير مركز الحركة إلى الكفرة وقام ببناء وتشييد زاوية التاج وتوغل في أعماق الصحراء الكبرى حتى وصل إلى قرو بلاد السودان لمحاربة الاستعمار الفرنسي هناك إلى أن استشهد في قرو يوم الأحد 23 صفر 1320هـ الموافق لـ03 ماي 1902م ودفن بالكفرة.

أحمد الشريف السنوسي: (1290هـ- 1351هـ)، (1873م- 1933م)

هو الإمام الثالث للحركة السنوسية ولد بواحة الجغبوب مركز الدعوة ليلة الأربعاء بتاريخ 27 شوال 1290هـ الموافق لـ: سنة 1873م ولد سمي محمد بن علي السنوسي الحطابي الإدريسي، انكب منذ صغره في التحصيل العلمي وحفظ القرآن في سن مبكرة وترعرع في أحضان والده محمد الشريف وعندما بلغ السن السادسة من عمره دخل تحت كنف عمه محمد المهدي وتعلم على يد أكبر المشايخ والد عمه، وأحمد الريفي، محمد التلمساني ارتحل

[1]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 56.

مع عمه من الجغبوب إلى الكفرة، ثم إلى منطقة قرو بالسودان ألف أحمد الشريف كتابا عن هذه الرحلة فسماه " السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج "

أحمد الشريف وترأسه الحركة:

عندما شعر محمد المهدي بقرب أجله رأى في ابن أخيه أحمد الشريف القدرة على تحمل هاته المسؤولية وفضله على خليفته الشرعي محمد إدريس السنوسي وتم انتخابه 1902 على سجادة الإمامة، وكان هدفه هو مواصلة الجهاد ضد الفرنسيين وأهتم بإدارة شؤون السودان من واحة الكفرة التي ضلت مقرا لحكومته في فترة إمامته[1].

وعندما أحتل الايطاليين ليبيا 1911، سخر كل إمكانياته من أجل دحر شوكة الإيطاليين وحارب كذلك الانجليز إلا أنه فشل في حملته التي ورطوه فيها الأتراك مما اضطره إلى التنقل إلى تركيا، وفي سنة 1918 تنقل إلى الحجاز إلى أن وفته المنية سنة 1933 ودفن بالبقيع وانتقلت الإمامة إلى محمد إدريس[2].

الإمام الرابع محمد إدريس السنوسي: (1307هـ-1404هـ)، (1890م-1983م).

هو محمد إدريس المهدي ابن السيد وحفيد مؤسس الطريقة السنوسية، السيد محمد بن علي السنوسي ولد بزاوية الجغبوب في 20 رجب 1307هـ الموافق لـ: 12 مارس 1896م، نشأ في كنف أبويه، ولما توفيت أمه احتضنته جدته من والده، حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة من عمره، وبعد وفاة والده كفله ابن عمه أحمد الشريف السنوسي، وتعلم على يد أكبر مشايخ كالعربي الفاسي، وأحمد أبي سيف العربي الغماري وأحمد الشريف السنوسي، وأحمد الريفي.[3]

ولما تولى أحمد الشريف الإمامة لم يجد معارضة من طرف أن ابن عمه محمد إدريس وهذا نابعا من وفائه لابن عمه الذي حمل على عاتقه كفالته، بالرغم من أنه الوريث الشرعي لخلافة أبوه المهدي، ولكن بعد احتلال إيطاليا لليبيا رأى فريق من المشايخ والمريدين مبايعة أحمد الشريف وإعطاء الخلافة إلى محمد إدريس لكنه رفض هذا المقترح

[1]- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبي1ج2 مكتبة الصحابة مكتبة التابعين الإمارات 2001ص442.
[2]- نفسه، ص 460.
[3]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 163.

وفي سنة 1913م أدى فريضة الحج، وكانت رحلة البقاع المقدسة تأثير كبيرا على شخصيته، وكان له موقف معارض حول مشاركة احمد شريف في حملة ضد الانجليز في مصر[1].

تولى محمد إدريس قيادة الحركة السنوسية 1916 بعد أن تنازل له احمد الشريف تونسي عنها و بويع من طرف أهل برقة وحاول إصلاح وتوطيد العلاقات مع الإنجليز، من أجل القضاء على المجاعة والتدهور الاقتصادي في برقة[2].

ولقد عمل الأتراك في الإطاحة به لكنه دخل في مفاوضات مع الإنجليز وإيطاليا وعقد صلح بين الأطراف الثلاثة، وأقام حكومة وطنية عاصمتها أجدابيا عام 1917 تحت إمرته، وعقب قيام الحرب الكونية الثانية كان إدريس متواجد في مصر وشرع في جمع الزعماء الليبيين من أجل تفويضه الأمر لمقاومة الحكومة المصرية أو الإنجليزية من أجل تكوين جيش سنوسي يقوم بتحرير ليبيا، ويعد استقلال ليبيا 1946م والإعلان المملكة الليبية 24 ديسمبر 1954م، وأصبح إدريس يحمل لقب الملك.

4- موقف الدولة العثمانية الحركة السنوسية:

لقد كانت علاقة أبن السنوسي للدولة العثمانية يغلب عليها الطابع السياسي فقد كان تعامله حكيم من دولة الخلافة الإسلامية لأن يرى أنها ضرورة ملحة لوحدة الأمة والدفاع عن كيانها ولهذا واجب عليه معاضدتها ومساندتها والوقوف بجانبها، ولهذا تولدت علاقة وطيدة بين السنوسي والخلافة الإسلامية، حيث عمل على توثيق وتوطيد علاقته بحكام الأقاليم الثلاثة في طرابلس، فزان وبنغازي وكانت علاقة مبنية على الاحترام ولتقدير المتبادل بين الطرفين[3].

وحقيقة أن علاقة بن السنوسي والدولة العثمانية لم تكن بالصورة السيئة التي صورها بعض المؤرخين الأمويين، حيث تشير معظم الوثائق إلى متانة العلاقة بين الطرفين ولعل من مظاهر هاته العلاقة هي تلك الرسائل الودية والمتبادلة بينهما وخير مثال على ذلك الرسالة التي بعث بها ابن السنوسي الوالي طرابلس بعد تأسيسه للزاوية البيضاء " ...ثم أننا نحن وعصابة المهاجرون بحمد الله في عافية، وما ذكرتم من كونكم إلى لقائنا بالأشواق،

[1]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق ،ص 134

[2]- محمد علي الصلابي(تاريخ)، المرجع السابق، ص 216.

[3]- نفسه ،ص 113.

وأخذكم من عهود الود بأشد وثاق فهذا محقق لدينا وواجب المكانة علينا ويؤكده دوام اعتناقكم بنا وبأصحابنا وملاحظتكم لنا..."

وتظهر هاته الرسالة حسن العلاقة التي كانت قائمة بين الطرفين وتأييد وإلى طرابلس للحركة السنوسية وهناك كذلك رسالة أخرى بعث لها السنوسي الكبير إلى حاكم بنغازي قبل سفره إلى الحجاز[1]، يعبر فيها عن مدى احترام الوالي للحركة السنوسية.

وفي سنة 1858م أصدر السلطان عبد الحميد الأول، فرمانا يقر به بالاعتراف الحركة السنوسية وتمنحها لكثير من الامتيازات منها إعفائهم من الضرائب والسماح لهم بجمع الزكاة وبعد وفاة السلطان تم تأكيد الفرمان السابق، وخول للزوايا الحق في أن تمنح الملاذ لأراضيها لكل من يحتاج ذلك وانخراط الكثير من أعيان استنبول في الحركة السنوسية، فتركوا بذلك تأثيرهم على علاقة السلطات التركية لهذه الحركة[2]، ولقد كانت نظرة السنوسي إلى الدولة الخلافة الإسلامية كواقع موجود لا تسمح الظرفية والمكانية لا الزمنية بتغيرها، ولا تزيد الصدام معها كما أن الدولة العثمانية ترى في الحركة بأنها تدر عليها بالمنفعة ما دامت تساير سياسة الدولة[3].

لقد كانت للخلافة الإسلامية مشاكل خارجية جعلتهم تشغلهم عن فرض سيطرتهم في إقليم برقة أو طرابلس، وكانوا في غنى عن محاربة الدعوة السنوسية التي كان لها تأثير كبير في عامة الناس، وكذلك قوة البدو والمحاربين واستعدادهم للاستشهاد على دولتهم وقد برعت الدولة العثمانية مسايرة الشعوب تارة باللين وتارة بالقوة، ولهذا السبب تركت الدعوة السنوسية تقوم بوظائف التعليم وفرض العدل وبسط الأمن في الدواخل وكذلك جباية الضرائب التي كانت تعتبر عائقا أمام الموظفين العثمانيين[4].

لقد استعان الأتراك بالحركة السنوسية في تحصيل وجمع الضرائب من القبائل بهذا حاول الموظفون الأتراك أن تظل علاقتهم جيدة مع مشايخ السنوسية، ومنهم من أصبح من أتباع الحركة مما كسبوا ود وتقدير في أعين

[1]- الدجاني، المرجع السابق، ص- ص 103-105.

[2]- بروشين، المرجع السابق، ص ص 349، 350.

[3]- الدجاني، المرجع السابق، ص 107.

[4]- جاسم محمد شطب العبيدي، المواقف العثمانية إزاء الدعوة السنوسية (1841-1911) **مجلة جامعة كربلاء**، العلمية العدد الثاني، جامعة كربلاء، 2015، ص 176.

البدو ويمكن القول أنه كان ائتلاف تركي[1] سنوسي في منطقة برقة، كما كان أيضا مشايخ الحركة ومريديها سيتخذون تلك العلاقة من أجل تقوية نفوذهم وتعزيز امتيازاتهم.

لقد كان السنوسيون يتفادون أي عمل سياسي قد يعكر علاقتهم بالخلافة الإسلامية مما أدى إلى كسب ثقة الأتراك الذين كانوا راضين على الحركة السنوسية ومنهجها وخاصة بتوجيه الدعوة إلى إفريقيا ونشر الإسلام في أدغالها، وفرض سلطان الأمن والنظام وإقناعهم بدفع الضرائب في منطقة برقة التي يعتبر واجبة اتجاه الخلافة الإسلامية[2].

لم تكن الإدارة العثمانية تهتم بوضع الحركة السنوسية القانوني أو الدستوري فالخلافة الإسلامية، كانت تتكون من الكثير من الطرق السنوسية وكذلك لم الأتراك لهم أطماع في برقة، خاصة وأنهم كانت منطقة فقيرة، بالإضافة أن الحركة السنوسية تعترف بالخلافة وهذا من خلال ذكر اسم الخليفة في منابر المساجد لقد كان الأتراك يفرضون سلطانهم على المناطق الساحلية بينما الدواخل كانت تدار من طرف الحركة وعلى العموم لا يمكن أن نتغاضى عن بعض الخلافات بين الطرفين بين الفينة والأخرى، وخاصة بعد أن أسرت الدولة العثمانية في سنة 1904م بفرض الضريبة على الأراضي التابعة للزاويا السنوسية .

المبحث الثالث: أوضاع ليبيا قبل الاحتلال:

1- الأوضاع السياسية:

تحتل ليبيا موقع استراتيجي، فهي حلقة وصل بين المشرق والمغرب[3]. مما جعلها عرضة للأطماع الأوربية وخاصة إيطاليا، فلما استكملت هذه الأخيرة وحدتها 1871م وجهت أنظارها نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وبدأت تزاحم الدولة الاستعمارية التقليدية في إيجاد مستعمرات وأخذ حصتها من هذه التركة. فوجهتها الأولى

[1]- العبيدي ،المرجع السابق، ص 176.

[2]- محمد علي الصلابي (الثمار الزكية) المرجع السابق، ج1، ص 213.

[3]- عبد الرزاق الرحيبي (ليبيا) المرجع السابق، ص 212.

كانت تونس لكن جهودها باءت بالفشل وهذا لأن فرنسا احتلت تونس 1881م[1]، فوجهت إيطاليا أنظارها نحو ليبيا.

لقد ارتبط شعب طرابلس الغرب بالدولة العثمانية وهذا بتوجيه نداء من الأهالي إلى مقر الخلافة من أجل حمايتهم من فرسان القديس يوحنا[2] .فاستجابت لهم السلطة وأرسلت قوة عسكرية نزلت في المناطق الشرقية من طرابلس، ولكنها لم تستطيع إخراج النصارى، فاستقروا في تاجوراء فقامت الدولة العثمانية بإرسال قوة برية وبحرية للقضاء على فرسان القدس يوحنا. واستطاعت أن تنتزع طرابلس الغرب من أيدي النصارى سنة 1551م وأصبحت ولاية تابعة لها، واستمرت في التحكم في مفاصل هذا الإقليم إلى أن أصبح تحت حكم الأسرة القرمانلية نسبة إلى أحمد القرمانلي ذو الأصول التركية[3]. واستمر حكم هاته الأسرة إلى غاية 1771م وتمت إزاحتهم من طرف الدولة العثمانية التي أفتكت الحكم من جديد 1835م واستمر حكمها إلى غاية 1912م.

2- الوضع العسكري:

بالرغم من أن الدولة العثمانية قامت بعدة إصلاحات إلا أنها لم ترقى إلى المستوى المطلوب ولم تبلى حاجيات السكان، فالجانب العسكري لم يكن يختلف عن كل الجوانب التي تكلمنا عنها آنفا.

فمن الناحية العسكرية هذا ثابت، وصلت القوة الدفاعية في ليبيا إلى درجة كبيرة من الضعف. فقامت الدولة العثمانية بعد احتلال فرنسا لتونس عام 1881م إلى إرسال عشر آلاف جندي وهذا من أجل حمايتها، علاوة على سحب قواتها من ليبيا وهذا من أجل القضاء على ثورة اليمن التي جرت قبل احتلال ايطاليا للبيا ويذكر الأمر مكتب أن الخلافة الإسلامية، عندما قامت في سحب قواتها من ليبيا وإرسالها إلى اليمن، سأل حقي باشا الذي كان في ذلك الوقت سفير الباب العالي في روما. هل هناك خوف من إيطاليا على ليبيا، ولكن أجابت الدولة العثمانية أنها لا تخاف من الطليان.

---

[1]- سلام محمد حمزة الأسدي: الغزو الإيطالي لليبيا، 1911 بين المستويات الدولية الاستعدادات العسكرية، 1878-1911، **مجلة حلب التربية الأساسية**، جامعة القادسية، كلية التربية عدد 13 أبريل 2013، ص 468.

[2]- فرسان القديس يوحنا.او فرسان مالطاهم شلة من الجنود المسيحيين تاسست في بيت المقدس في اطار الحروب الصليبية وقامو بمهاجمة سواحل المغرب العربي تحت غطاء الحروب المقدسة للمزيد ينظر. محمد عمر الباروني الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس مطبعة ما جي ليبيا 1952ص52 وما بعدها.

[3]- شارل فيرو، الحوليات الليبية، تر محمد عبد الكريم الوافي،ط3، بنغازي، ليبيا منشورات جامعة قاريونس، 1994، ص22.

كما قامت الخلافة الإسلامية باسترجاع حوالي 45000 قطعة سلاح من نوع قديم و عددت بإرسال سلاح جديد لكنها لم ترسل إي شيء، وقلصت عدد الجنود من عشرون آلاف إلى ألف[1].

لقد تولى لشؤون ليبيا في فترة الحكم العثماني الثاني ثلاثة وثلاثون واليا أدى هذا إلى ظهور الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي ولقد زادت مدة حكم الولاة لا يتجاوز بضع أشهر ويتم عزلهم علاوة على ذلك التوترات والاضطرابات التي ظهرت في أواخر الحكم العثماني في إلى ليبيا والحقيقة أن فترة الحكم العثماني الثاني كانت مسرحا للكثير من الصراعات وازدادت في هاته الفترة أطماع الدول الاستعمارية في ليبيا، خاصة وإن هاته الفترة تميزت ببداية الضعف الذي نخرج جسد الدولة العثمانية .

3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

كما قلنا سابقا أن الوضع السياسي في ليبيا للدولة العثمانية امتاز بالقوة تارة وبالضعف والتدهور تارة أخرى، أما الوضع الاجتماعي امتاز بالتدهور والتقهقر فانتشر الجهل وهذا نظرا لقلة التعليم وعدم و جود مدارس وقلتها مقارنة بعدد السكان، علاوة على ذلك انتشار الفاقة بين أفراد المجتمع الليبي، فانتشرت الأوبئة والأمراض، بسبب انتشار القحط الذي أصاب هذه الولاية[2]، ان التدهور الذي شهدته ليبيا في المجال الاجتماعي والثقافي هو تحصيل حاصل نظرا لعدم، الاهتمام بالزراعة، وتراجع في مجال التجارة.

[1]-شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السابق، 365.

[2]- أحمد إبراهيم دياب، تاريخ الاستعمار الأوربي في إفريقيا، الاحتلال الإيطالي لليبيا، **مجلة الدراسات الأرضية**، الفي الخرطوم عدد السادس، فبراير 1990.، ص4.

الفصل الأول

مقاومة أحمد الشريف

السنوسي ضد الفرنسيين

بتشاد

تعتبر الحركة السنوسية من أهم الطرق الصوفية التي حملت على عاتقها رفع لواء الجهاد في المغرب العربي بل تعداه إلى أدغال إفريقيا السوداء، وكانت الحصن المنيع لتلك الشعوب الإفريقية التي تكالبت عليها الدول الاستعمارية، فلقد سخر جل أئمتها التي تعاقبت على قيادتها لمقاومة الزحف الفرنسي القادم من الجنوب وكثف أحمد الشريف كل جهوده من أجل كسر شوكة المستعمر الفرنسي الزاحف إلى أواسط إفريقيا وواصل على نفس نهج سابقه محمد المهدي وخاض عدة معارك طاحنة سواء في فترة عمه أو فترة إمامته.

المبحث الأول: انتشار الحركة السنوسية في الصحراء الكبرى:

1- مراكز نفوذها في السودان الغربي:

لقد تحدثت الكثير من الوثائق المصدرية أن تاريخ 1860م هو بدايات تمركز نقود الحركة السنوسية وتحديدا في إقليم كاوار، حيث تهافت الكثير من الموريدين في تلك المنطقة على إتباع هذه الطريقة والسير على نهج مؤسسها محمد بن علي السنوسي، ولقد لعب الكثير من الشيوخ والمرابطين دورا في نشر هاته الطريقة أمثال الشيخ إبراهيم المجروح، حيث أقام زاوية في منطقة بيلما ثم توجه إلى زندر فتقرب من سلطانها الذي كان من الأوائل الذين اتبعوا هاته الطريقة في إفريقيا السوداء بأسرها[1].

قد كان للإمام الثاني للطريقة السنوسية المهدي دورا في تسويق وترويج لهاته الطريقة في غرب إفريقيا وتجاوزت الإطار المحلي، بحيث يعتبر عهده أزهى عهود الحركة فيما يخص بالعمل الدعوي ونشر الإسلام في غرب إفريقيا خاصة وفي كل من بحيرة تشاد ومنطقة النيجر، بحيث كان الإمام المهدي يرسل بعثاته الاستكشافية إلى الصحراء، خاصة في الجنوب الليبي وشمال تشاد أي إلى كانم[2] وارتحل السنوسي من الجغبوب إلى الكفرة، وجمع كل ما تكفيه من الإبل وخبراء الطرق.

[1]- بول مارتي، دور العرب في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء، للقارة الإفريقية، ترجمة محمد عبد السلام العلاقي، جمعية الدعوى الإسلامية العالمية، الجماهيرية الليبية، (1369هـ-2001م).ص 80.

[2]- كانم، إمبراطورية كانم الإسلامية، (800-1955) وكانت تمتد بين تشاد ونيجيريا وليبيا فهي لا تغطي معظم تشاد ولكن تغطي أيضا أجزاء من جنوب ليبيا (فزان) وشرق النيجر، وشمال الكاميرون، للمزيد ينظر : ظاهر محمد صكر، الحرب السنوسية – الفرنسية في الصحراء الكبرى، (1837-1913)، **مجلة الأستاذ**، جامعة بغداد، كلية التربية بن رشد للعلوم الإنسانية، العدد 217، المجلد الأول، 2016م-1437هـ، ص 189.

لقد تمكن السنوسيين من بسط نفوذهم في غرب إفريقيا، حيث امتدت دعوتهم إلى أقصى الصحراء الكبرى ومرورا ببحيرة تشاد والإمارات الإسلامية المجاورة لها التي كانت تدين بالإسلام أو الوثنية وقد تزامنت هاته الفترة مع تنامي الأطماع الاستعمارية للدول الكبرى، لقد كان المهدي جد حذر خاصة بعد أن غير مقر إقامته كما قلنا سابقا من الجغبوب إلى واحة الكفرة فأقام بها مدة أربع سنوات وكان هو الرأس المدبر للمقاومة ضد الزحف الفرنسي هناك.

ولقد وضع المهدي نصب عينيه زاوية قرو في برقو ناحية السودان الغربي واصطحب معه كوكبة من مشايخ السنوسية والمريدين والأتباع، ومن بين الذين اصطحبهم معه أثناء إقامته في تلك المناطق ابن أخيه أحمد الشريف والذي تم تعيينه كخليفة له على رأس الحركة السنوسية وعن وما ان وطأت أقدامه في تلك المنطقة حتى أخذ ينشر تعاليم الإسلام ومبادئه ولقد وجدت دعوته إقبالا من طرف سكان تلك المنطقة مخيرين لا مجبرين.

وفي سنة 1892م ظهر مرابط ينتمي إلى الطريقة السنوسية يدعى محمد السني في إقليم دامرغودا ما غريم وحشد هذا الأخير أنصاره في المناطق المجاورة وأنشأ زاوية لتعليم القرآن بالإضافة إلى ذلك فإن السنوسية في إقليم كاوار كان توجد به تسع مدارس مدرستين في بيلما ومدرستين في دوركو وثلاث مدراس في فاشي ومدرسة في أتاي ومدرسة في شاميدور ومن مشاهير أتباع السنوسية في زندر الزعيم الروحي للحركة عبد الكريم دوما الطرابلسي.

لقد اجتمعت عدة عوامل وظروف سهلت للحركة السنوسية من أجل نشر دعوتها وتحولها إلى إمارة إسلامية بكل المقومات واستطاعت أن تبسط يدها في المناطق التي امتدت إليها الدعوة داخل السودان الغربي[1]،ونجحت الطريقة السنوسية في العمل في نشر تعاليم الإسلام السمحاء فازداد عدد المريدين والتابعين لها، بحيث كانوا يقومون بشراء العبيد ومن ثمة يقومون بتلقينهم العلوم وبعهدها يتم عتقهم ويعودون إلى أوطانهم ويقومون هم بدورهم بنشر مبادئ السنوسية في بلدانهم.

لقد وصف معظم مؤرخي أن السنوسية هي عبارة عن طريقة من الطرق الصوفية التي عرفتها المنطقة والعربية وذاع صيتها على غرار التيجانية والقادرية والرحمانية[2]، ولعبت السنوسية دورا في محاربة الشرك ونشر تعاليم

[1]- رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث بين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1994م، ص 323 .

[2]-بوعرة بوضرساية، مؤتمر طرق الحج في إفريقيا،مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان،2016، ص 237.

الإسلام في السودان الغربي وبالأخص تلك القبائل التي تدين بديانات أخرى كالوثنية ولا يعرفون عن الإسلام سوى اسمه.

وقد كانت البوادي على سكونها وهدوئها تضطرب بألوان من الحركات الدينية والأعمال التجارية وكانت الزوايا الدينية التي تقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية من أهم مراكز هذه الحركات أو لعلها المراكز الوحيدة لها وكانت هذه الزوايا الثقافية تقع في الغالب على طرق التجارة التي تربط السودان بالشمال وتنتقل بوسطها السلع في قوافل ما تزال رائحة وغادية كما أنها تربط شمال إفريقيا بغربها حيث أن شيوخها كانوا يقيمون حلقات للذكر يحضرها ويجتمع فيها التجار القادمين من الجنوب والعائدين من الشمال[1].

كان المهدي متيقن من سيرورة الدعوة وحركتها في مثل هذه المناطق والتي تقوم على الدعوة إلى تعاليم الإسلام لأنه يعتبر مقوم تنهض به الأمم وترتقي وتنهض من سباتها العميق كما أن تلك الزوايا كانت مركز لتعقب أخبار الشعوب الإسلامية، لقد حرص المهدي على مواصلة مشروع والده وهو مواصلة الدعوة في القارة السمراء وبين القبائل الزنجية والوثنية التي لم تكن تعرف من الإسلام سوى اسمه ولعل الشيء الذي ساعده في نشر دعوته هو النفوذ وثقل وزن تلك الحركة بين تلك القبائل وخاصة أن معظم شيوخ السنوسية قريبون من السلطة السياسية بالإضافة لعمليات الهجرة من طرف القبائل العربية القديمة في إفريقيا التي ساعدت على تطور هاته الحركة حيث ساعدتها على نشر الإسلام ولعل أشهر هاته القبائل العربية أولا سليمان أولاد يعقوب[2].

ونجد أيضا أن الباحث في هذه الطريقة يرى بساطة مبادئها وتعايشها مع الطرق الصوفية الأخرى بالإضافة إلى السهولة في الدخول إلى هذه الطريقة ما جعلها تلقى ترحيبا وتجاوبا من طرف السكان في السودان الغربي.

وفي عهد المهدي تضاعف عدد الزوايا حتى وصل إلى مائة وواحد وعشرون، وقد بلغت نفوذ السنوسية إلى بلاد الجلا **galla** وتم فتح مدارس لتعليم الذكور وأخرى لتعليم الإناث مثل مدرسة كانم وهي مدرسة دينية أسسها الشيخ محمد السني القادم من ليبيا وذلك بمنطقة تشاد وكذلك مدرسة بئر العلالي، بحيث كلف الإمام

[1]- علي محمد الصلابي(تاريخ) المرجع السابق، ص 28.

[2]- علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في شمال إفريقيا، الحركة السنوسية في ليبيا، ج2، ص 133.

السنوسي سيدي محمد البراني، ببناء زاوية في منطقة بئر العلالي في كانم وقد قام بجمع قبائل التبو والطوارق [1] وأولاد سليمان والمجابرة والقرعان وقبائل عربية أخرى وكونوا شبكة من الاتصالات قصد تنظيم مواجهة الزحف الفرنسي ومع مرور الإمام أصبحت زاوية بئر العلالي في كاتم القلعة العسكرية المتقدمة للسنوسيين في مواجهة المستعمرين الفرنسيين. وكذلك نجد مدرسة قرو في شمال تشاد والتي أسسها محمد السني و مدرسة فايا والتي أشرف على إدارتها المهدي السني وزاوية عين كلك الذي كان شيخها عبد الله الطوير.

لقد أقام المهدي السنوسي الربط بين الزوايا المركزية التي مقرها جغبوب، وبقية الزوايا في الأقاليم الأخرى وذلك بإقامة نظام محكم والذي يعتمد على التواصل والاتصال وتبادل الرسائل عبر الخيول في مختلف مراكز السنوسية، مرورا بفزان ووداي [2]، كما حرص على تأمين الطرق و حفر الآبار وإنشاء الزوايا فيها، لقد كان الطريقة السنوسية تعتمد على أسلوب الترغيب لا الترهيب ولم تستخدم العنف والإكراه من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي السمحاء.

كانت السنوسية في بداية تأسيسها عبارة عن حركة إصلاحية [3] ولكن بمرور الوقت بعد أن استكملت جميع مقوماتها أصحبت دولة إسلامية واستطاعت أن تضم أجزاء كبيرة من الصحراء والسودان الغربي وكان لها الفضل في القضاء على الوثنية خاصة في تلك المنطقة التي لم تكن تعرف شيء عن الإسلام فكانت زوايا عبارة عن منبرا للذكر والعبادة ومحاربة الشرك والدعوة إلى التوحيد، لقد قفزت الحركة السنوسية قفزة نوعية وعاشت أزهى مراحلها في عهد المهدي ونمت نموا سريع وكل ذلك يرجع إلى طبيعة وخصوصية تلك الحركة ومنظومتها المتطورة المعتدلة، وكذلك أن معظم سكان تلك المنطقة يحكمها النظام القبلي الذي كانت الحركة السنوسية تعرف خصوصية المجتمع القبلي ونظامه وأسسه لقد دامت فترة حكم أو إمامة المهدي حوالي أربعون سنة الشيء الذي ساعده على مواصلة مهمة والده والسير على نفس نهجه وسياسته الرشيدة التي كانت تتحاشى التصادم مع الخلافة الإسلامية.

[1] – الطوراق، هم الشعب الذي شواطئ الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر أزاود شمال مالي وشمال النيجر وجنوب غرب ليبيا والطوارق هم مسلمون مالكيون يتحدثون اللغة الطارقية،للمزيد ينظر: محمد الطاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 188.

[2] – ذكرت بعض المصادر أن كلمة وإلى نسبة على عبد الكريم بن وداعة مؤسس المملكة وتقع شرق مملكة كاتم، غرب دارفور في أقصى الشرق وعاصمتها أبشة ويرجع تاريخ المملكة إلى عام 1115، للمزيد ينظر: نفسه ، ص 190.

[3] – بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 241.

2- موقف الدول الأوربية من الحركة السنوسية:

لقد بسطت الحركة السنوسية نفوذها وقوت مراكزها وانتشرت انتشارا كبيرا في أواسط إفريقيا وذاع صيتها في الصحراء الكبرى، وكانت حصنا منيع أمام الحركات التنصيرية وحالت دون أن يمرروا رسائلهم الصليبية بحيث أن هاته الحركة لم تجد طريقها محفوفا بالزهور بل وجدت خصوما أنهم أرادوا عرقلة تمرير رسائلها السمحاء، وأرادوا وكبح أعمالها وهدمها لدرجة كبيرة لقد أزعجت تلك الحركة الدول الأوربية الكبرى،خاصة بعد أن أشتد التنافس بين الدول الأوربية الاستعمارية الكبرى وهذا من أجل أقسام القارة الإفريقية، وكانت الدعوة السنوسية كحاجزا يقف في وجه الدول الاستعمارية التي أرادت تنفيذ مشروعها الاستعماري.

علما أن انجلترا التي احتلت مصر عام 1882م والتي كانت لها مصالح في غربي إفريقيا وجنوبها، وأصبحت تحسب ألف حسابا للحركة السنوسية وأصبحت تسعى لتوقيف خطرها خاصة في ناحية السودان المصري[1]، الشمال الإفريقي والصحراء، كانت فرنسا حريصة على إبعاد الطريقة السنوسية عن مستعمراتها خاصة الجزائر وخاصة وأنها تعلم أصول بن السنوسي الجزائري الأصل بالإضافة أن فرنسا كانت لها أطماع في تونس وهذا من أجل بسط نفوذها على الصحراء الكبرى وبالتالي تمنع الطريقة من تمرير رسالتها الدعوية وبالتالي تحول دون انتشار الإسلام وخاصة أن الطريقة وقفت في وجه الحملات التبشيرية[2].

أما إيطاليا فبعد أن استكملت وحدتها أصبحت لها أهداف استعمارية وتطمح إلى امتلاك مستعمرات في إفريقيا وتنافس الدول الأوربية الكبرى في مسعاها فاحتلت طرابلس الغرب سنة 1911م وسخرت إيطاليا كل جهودها الدبلوماسية من أجل كسب ود السيد المهدي وهذا من أجل إغرائه وتحقيق مآربها وأهدافها. كما عملت ألمانيا بعد انتصارها في الحرب السبعينية إلى محاولة استمالة المهدي إلى العمل ضد فرنسا في إفريقيا الغربية[3]، فنجد أنه في سنة 1872م حاولت ألمانيا مفاوضة المهدي من اجل تحريضه ضد القبائل التي سيطرة الفرنسيين في سواء في إفريقيا الشمالية والغربية ولكن نجد أن كل محاولاتهم باءت بالفشل لأن موقف المهدي كان واضحا ولقد رفض مقابلة كل الرسل الذين أرسلتهم ألمانيا[4].

---

[1]- شكري، المرجع السابق، ص 78.

[2]- الدجاني، المرجع السابق، ص 65.

[3]- محمد على الصلابي(تاريخ) المرجع السابق، ص 182.

[4]- نفسه، ص 183.

عندما احتلت الحكومة الفرنسية وبسطت نفوذها البلدان المغرب العربي، حاولت استمالة بعض الطرق الصوفية وجعلها أداة طيعة ووسيلة لمباركة احتلالها، وأرادت أن تجعل بلدا مثل الجزائر امتداد فرنسي على البحر المتوسط، ولكن السلطات الفرنسية وجدت أمامها حاجرا منيعا ممثلا في الحركة السنوسية التي أفسدت مشروعها الإفريقي الاستعماري[1].

لقد استعملت فرنسا مجموعة من الآليات من أجل تشويه الحركة السنوسية واستعملت أقلامها وإعلامها المسعور من أجل تحقيق مبتغاها، كما أنها أرسلت مجموعة من الرحالة لاستكشافها وأصبح موقفها موقفا عدائيا فلقد كتب الكثير من الفرنسيون عن السنوسية وهذا من أجل تسويد صورتها، ولقد تجلى الموقف المناوئ للحركة هو قيامها على الضغط على الباب العالي من أجل شد الخناق على الطريقة السنوسية وتجسد موقفها الغاشم من خلال الحرب التي شنتها على مراكز الحركة في تشاد.

وحملت السلطات الفرنسية الحركة السنوسية مسؤولية جميع الاغتيالات التي حدثت في الصحراء ضد بعض الرحالة المستكشفين، ووصفوها بأنها متعصبة وشديدة الكراهية للديانات الأخرى ولكن نجد أن كل هاته الحملات التشويهية التي تعرضت لها السنوسية هو نابع من الحقد الصليبي على الإسلام كيف لا وهي حركة إسلامية ودعوية جهادية متأصلة تستمد مبادئها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما أن قضية الاغتيالات مجرد افتراء لأن أئمة السنوسية كان منهجهم هو التسامح والتعايش مع الآخرين والترغيب لا الترهيب بحيث كان المهدي يعامل غير المسلمين بالحسنى ويأمر أتباعهم بإكرام الأجانب لأنه يعتبره واجب من واجبات المسلمين[2]، ويبدو من كل هاته الافتراءات التي أحاكتها الدول الأوربية ليس لها أساس من الصحة لأنهم أرادوا تظليل الرأي العام الغربي ضد الحركة وحتى يجدوا مبررا لأعمالهم إرسالياتهم التبشيرية في وسط القارة الإفريقية.

[1]- الدجاني، المرجع السابق، ص 198.

[2]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 79 .

المبحث الثاني: جهاد أحمد الشريف ضد الفرنسيين في فترة إمامة المهدي:

1- إستراتيجية السنوسية في مقاومة الفرنسيين في تشاد:

لقد اتبعت الحركة السنوسية إستراتيجية دفاعية، واتجهت من الشمال الإفريقي[1]، وحولت أنظارها إلى سواحل في الصحراء الكبرى وجنوبها خاصة محمد المهدي الابن الأكبر للحركة السنوسية، حيث تولى قيادة الحركة فتفرغ لإدارة شؤونها وتوسيع رقعتها إلى أدغال أفريقيا السوداء واتخذ من الجغبوب مركزا لقيادته. ولكن الظرفية المكانية والزمنية جعلته يرسم خطة تستدعي ضرورة العمل على توسيع نطاق الحركة للجنوب وذلك وفق إستراتيجية مرسومة ومحكمة، ولهذا قرر محمد المهدي الانتقال من الجغبوب إلى الكفرة وذلك في سنة (1312هـ-1895م).

إن انتقال السيد المهدي من الجغبوب إلى الكفرة كان يهدف السنوسي من ورائه تنفيذ مشروعه وهو إنشاء الإمبراطورية المستقلة ومقاومة جهود المبشرين في إفريقيا الغربية ونشر الهداية العرفان عن طريق الدعوة إلى الإسلام بين التبو – التوارق والأير وغيرهم من الأقوام الوثنيين، وكذلك كان هدفه إنشاء الزوايا التي لم تكن منابر للهدى فقط بل كانت أيضا مراكز حكومية تسهر على الأمن والاستقرار في الجهات التي تنشئ بها علاوة إلى ذلك أن المهدي كان يدرك تماما أن تمتين العلاقة مع سلطة وداي وتقوية الصلات مع بقية الإمارات الإسلامية في جهات بحيرة تشاد مثل كانم وبرقو هي وسيلة لنشر مبادئ الإسلام .

ومواجهة الخطر الفرنسي القادم، حيث كان لليبيون المتواجدين في تشاد يخشون مجيء القوات الفرنسية على ما بناه المسلمون في المناطق البعيدة، حيث أن الدعوة السنوسية كان لها نفوذ إسلامي كبير خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر في برقو وأنيدي وتبستي وكانم ووداي . حيث انتشرت الزوايا السنوسية في معظم المناطق التشادية وكان الدفاع عن هاته المناطق تمليه وتفرضه العقيدة الإسلامية لمقارعة المد ألتنصيري الفرنسي، حيث أن الفرنسيين أخذوا يتغلغلون في إفريقيا الغربية عن طريق نهر السنغال الأعلى وأنشئوا مستعمرة جديدة في الكونغو ثم بسطو نفوذهم إلى شاطئ النيجر الأعلى واحتلوا تمبكتوا عام 1894م واتفقوا مع بريطانيا عام 1895م ومع ألمانيا 1894م على أن يكون معلم الصحراء الوسطى والغربية منطقة نفوذ فرنسية[2].

[1]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 179.

[2]- فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 92.

في الوقت الذي قرر فيه المهدي الانتقال من الجعبوب إلى الكفرة كان هناك خطران كبيران يحدقان بتلك الأقاليم أولهما قيام سلطة رابح المشهورة في السودان الغربي.

ولهذا عمل السيد المهدي كما قلنا سابقا على توطيد العلاقات بينه وبين وداي[1]، التي كانت علاقتها بالحركة السنوسية قوية منذ عهد ابن السنوسي الذي كان على صلة بسلطانها، وبعدها ازدادت الروابط بين المهدي وسلطان وداي في المدن في المدن التالية حتى طلب يوسف (سلطان واداي) أن يوفد المهدي إلى أشبة أحد كبار الشيوخ السنوسيين مندوبا خاصا في عاصمته فارسل إليه سيدي محمد بن عبد الله السني فوطد نفوذ السنوسية في وداي، ويعتبر محمد بن عبد الله السني من تلامذة محمد بن علي السنوسي، وكذلك أدرك السيد المهدي نجاحا عظيما في برقة فأسس السنوسيون زواياهم في عين كلك وفايا والوجنقة وقرو وانتشر نفوذهم في كانم.

ويشير بعض المؤرخين ومنهم محمد فؤاد شكري مؤرخ الحركة السنوسية أن خروج الزعيم الحركة السنوسية محمد المهدي من الكفرة إلى قرو تزامن مع ظهور مملكة رابح في تشاد قائلا إن أكبر ما كان تشاد " السيد المهدي زيادة سطوة رابح لدرجة تلحق الرهن بالإمارات الإسلامية حول بحيرة تشاد فلا نستطيع مقاومة خطر أشد وأقسى كان يتهدد سلطنه رابح[2] والسنوسية والإمارات الإسلامية جميعا هو خطر الفرنسيين الزاحفين على هذه الأقطار التي يريدون امتلاكها، فلقد كان رابح من عبيد الزبير باشا رحمت واشترك في ثورة سليمان بن الزبير ضد سلطان الحكومة المصرية في بحر الغزال، وعندما انهزم سليمان وقتل وفشلت الثورة 1879م جمع رابح قواته وانسحب إلى دار منغا وبدأ بشتى الغارات على البلدان المجاورة، فغزى دارفور ووداي ثم واصل غزواته في دواخل السودان واتخذ البلاد الواقعة في جهة نهر الشاري واتخذها مركزا له واستقوى واستطاع أن يبسط نفوذه على الإمارات المجاورة فاستولى على الباقيرمي في 1892م والتجأ سلطانها إلى بلاد الشارى الأسفل ومنها إلى وداي 1894م، ثم غزى رابح (بورنو) وهي مملكة في السودان إلى الجنوب والغرب من بحيرة تشاد واصل مسيطرا على بورنو وبهذا استطاع رابح أن ينشأ نفسه ملكا مستقلا على ضفاف الشاري وهو نهر يصب في بحيرة تشاد[3].

[1]- فؤاد شكري، المرجع السابق، ص91 .

[2]- من أبطال الجهاد ضد الفرنسيين في تشاد (1845- 1900) للمزيد ينظر محمد سعيد القشاط، إعلام من الصحراء،ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1997، ص 75.

[3]- فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 91.

ويبدوا أن نشاط رابح في جنوب بحيرة تشاد كان يكتفيه الغموض بالنسبة للمركز السنوسية إلا انه بالتأكيد لم يكن يشكل الخطر الأكبر عليها كما هو الحال بالنسبة للخطر الفرنسي، بحيث كان يعتبر الفرنسيون أن السنوسية ومملكة رابح تشكلان اكبر عائقا لتنفيذ مشروعها التوسعي ألاستعماري ولهذا بدأت تخطط للقضاء على رابح خاصة بعد النجاح الباهر الذي حققه وازدياد نفوذه في المنطقة، الذي كان له تباع خطيرة لان الفرنسيين الذي كانوا قد بدءوا يتعلمون في افريقية الغربية عن طريق نهر السنغال سرعان ما بسطو نفوذهم عليها، كما أنهم أسسوا مستعمرة جديدة في الكونغو وبعدها امتد نفوذهم على شاطئ النيجر فتمكنوا من احتلال تمكتوا في 1894 م وفي تلك الأثناء عقدوا اتفاقا مع الانجليز 1895 م باعتبار الأراضي الممتدة من حتى بحيرة تشاد، لقد كان الفرنسيون مفزوعين من الملك الذي بناه رابح الزبير وخاصة بعد أن استولى على الباقيرمي وأرغم سلطانها على القرار الذي تم استمالته من طرف الفرنسيين وهذا من اجل التمهيد للسطو على سلطنة رابح[1].

لاجل القضاء على السلطان رابح عملت فرنسا على إرسال ثلاث بعثات عسكرية سنة 1899م[2] للتوجه إلى بحيرة تشاد الأولى من الجنوب الجزائري برئاسة الرائد لامي والثانية القادمة من مالي والنيجر بقيادة فولي والثالثة بقيادة أميل جانيتي القادم من الكونغو والذي نجح في توقيع معاهدة حماية مع الملك الباقيرمي وواجهت قوات السلطان رابح هذه الحملات بكل مات شك من قوة لصد القوات الفرنسية الغازية وبع مواجهة عنيفة استطاع رابح أن يلحق به شر هزيمة[3]. مما اضطر الفرنسيون إلى إرسال حملة بقيادة الجنرال جنتيل وكانت ناجحة بكل المقاييس فأخرجت رابح عن كانوا في أكتوبر 1899م وفي أواخر نفس السنة تضافرت قوات الفرنسيين والتحقوا مع رابح في معركة فاصلة [4]وقتل سنة 1901م .

2/ الصدام الفرنسي السنوسي في كانم:

بعد أن تم القضاء على السلطان رابح الذي كان يعتبر سدا منيعا أمام التوغل الفرنسي في بحيرة تشاد بدأت القوات الفرنسية تتطلع إلى احتلال منطقة كانم التي كانت تعتبر بالنسبة للسنوسيين كمركز حيوي متقدم وكانت ترى فرنسا أن السيطرة على كانم يعني القضاء على نفوذ السنوسية في برقو وانيدي والكوار وغيرها ولهذا

[1]- محمد فؤاد الشكري،المرجع السابق، ص 92.

[2]- انظر الخريطة أهم مواقع المعارك الفرنسية ضد السنوسية، من سنة 1906م إلى 1912م الملحق الثالث، ص 89.

[3]- بول مارتي، المرجع السابق، ص 82.

[4]- محمد علي الصلابي،(تاريخ) المرجع السابق.ص 189 .

اتخذ المهدي قرار يقضي بالانتقال من الكفرة اتجاه مكان يكون قريب من مسرح الأحداث فغادر زاوية التاج إلى زاوية قرو في برقو سنة 1899م، وبعدها بدأ يتهيأ لمواجهة الفرنسيين الذين هم بدورهم كانوا يستعدون لمعركة فاصلة مع السنوسيين فأرسل محمد المهدي الشيخ محمد البراني الساعدي[1] إلى كانم فبنى زاوية في بئر العلالي. وجمع فيها حركة مقاومة شعبية ضمت قبائل مختلفة من الليبيين من أولاد سليمان والزوية ووفلة والقذاذفة والمغاربة بزعامة عبد الجليل سيف النصر زعيم القبائل أولاد سليمان وازدادت المقاومة في وجه القوات الفرنسية بعد وصول النجدات من طوارق النيجر بالإضافة إلى الدعم والاسناد الذي كان المهدي السنوسي وابن أخيه أحمد الشريف يبعثونه واللذين اتخذوا من واحة قرو قاعدة متقدمة في الأراضي التشادية، وهذا من أجل تنظيم طلائع المجاهدين وتنظيم القوافل والإمدادات القادمة من ليبيا عن طريق الكفرة[2].

أ- معركة بئر العلالي الأولى 1901م:

لقد تقدم الفرنسيون نحو كانم في حملة مجهزة بالأسلحة والمعدات الحديثة، واستعد السنوسيين لمقارعتهم فوضعو حامية كبيرة في بئر العلالي وكلف المهدي ابن أخيه السيد أحمد الشريف بإدارة الحرب والجهاد ضد الفرنسيين وبينت هاته المعركة ان القوات الفرنسية لم تستطيع الصمود أمام المجاهدين، حيث تم فيها هزيمة الفرنسيين ومطاردتهم لمدة 5 ساعات وقتل في هاته المعركة قائد القوات الفرنسية ميلو MILLOT رفقة عدد كبير من أفراد الحملة هذا بالنسبة للمصادر العربية أما المصادر الفرنسية فتقلل من شأن المعركة والانتصار وتشير إلى أنه ما نتائج المعركة ستة قتلى وأربعة وثلاثون جريحا في صفوف الفرنسيين، أما بالنسبة للسنوسيين فهناك ما يقارب الثلاث مائة فرد خارج إطار المعركة مع قتل ستة إخوان أما بالنسبة للجرحى فالعدد غير معروف.

ب- معركة بير العلالي الثانية 1902م:

كانت نهاية معركة بير العلالي الأولى بهزيمة في صفوف القوات الفرنسية مما جعلهم يخططون للانتقام من المجاهدين، وكان عبد الله الطوير[3] على رأس المجاهدين الذين تصدوا للغزو التنصيري في تشاد وخاض عدة معارك كبيرة ومتعددة وسقط من رفاقه المجاهدين في هذه المعركة مائة شهيد من بينهم كل من الشيوخ غيث سيف النصر

[1]- تسمية سيدي محمد البراني الساعدي من قبيلة زاويه أسس زاوية شرق السلوم بالأراضي المصرية انتقل 1899 على تشاد للجهاد ضد الفرنسيين، للمزيد ينظر محمد على الصلابي(تاريخ) المرجع السابق، ص 229.

[2]- ظاهر محمد شكري الحسناوي، المرجع السابق، ص182.

[3]- الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 209.

وأبو بكر قويطين ويونس بدر السنوسي خير الله وشقيقه عبد الله وغيرهم، أما بالنسبة للخسائر البشرية للفرنسيين مائتين وثمانين منهم خمسة وعشرون ضابطا في اليوم التالي من هذه المعركة زحف الفرنسيون بعدد كبير من الجيش معزز بقوات احتياطية[1] فاشتبكت مع قوات المجاهدين في معركة حامية الوطيس كانت نتائجها وخيمة على المجاهدين، مما أدى إلى انسحابهم واحتلت القوات الفرنسية مركز بير العلالي[2].

وفي وبعد تلك الأحداث وصلت نجدة المجاهدين يقودها محمد عقيلة الذي قام بشن هجوم من أجل استعادة بير العلالي في المعركة الثالثة مع الفرنسيين وقام بمهاجمة موقع عسكري أقامه الفرنسيون خارج بير العلالي وجرت معركة طاحنة أسفرت عن احتلال الموقع الفرنسي وتم الاستيلاء على كل ما يوجد به، ولقد شجع هذا النصر القائد السنوسي إلى اتخاذ قرار وهو الهجوم على الفرنسيين في بير العلالي لقد نصح الكثير من المجاهدين القائد السنوسي من التسرع في الهجوم على الفرنسيين والتريث حتى يتم الاستعداد لهذا الهجوم ولكن القائد أصر على تحرير بئر العلالي أو الاستشهاد في سبيل الله وهذا ما وقع فعلا، فقد هاجم المعسكر الفرنسي بروح جهادية عالية حتى استشهد في هذه المعركة وانسحب المجاهدين بعد أن تكبد خسائر كبيرة ومن هؤلاء الشهداء محمد بوعيقلة الزاوي الذي عينه أحمد الشريف قائد لحصن بئر العلالي بدلا من البراني الساعدي الذي نقل إلى جبهة عين كلكة في الشمال وعرف أبو عقيلة بنشاطه وشجاعته وكان بارعا في فنون القيادة والحرب حتى أن الفرنسيون نفسهم اعترفوا له بذلك قتال عنه أحدهم:

"كان أبو عقيلة جنديا عظيما قادرا على تدارك المواقف في الوقت المناسب "

إن انهزام قوات المجاهدين لم يكن إعتباطا أو بمحض الصدفة وإنما كان لعدة اعتبارات وهو تحصيل حاصل وهذا نظرا لعدم تكافئ في ميزان القوة بين القوات الفرنسية التي كانت تملك أحدث الأسلحة من مدافع وبنادق رشاشة وفي المقابل قوات المجاهدين استعملت بنادق خفيفة والرماح والسهام بالإضافة أن الخطة المتبعة أو الإستراتيجية التي اتبعها السنوسيون التي اعتمدت على المواجهة المباشرة لم تكن تجدي نفعا علاوة على ذلك أن محمد المهدي لم يتصرف بحكمة ودبلوماسية في الصراع الذي كان قائم في إفريقيا ووقف موقف حياد ولم يقم بأي تحالفات مع تلك القبائل خاصة مع دولة رابح التي كانت في خط الدفاع الأول أمام القوات الفرنسية وكان سقوط

[1]- محمد الطيب الأشهب، برقة العربية، أمس واليوم، مطبعة الهواري القاهرة، 1947م، ص 73.

[2]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق ، ص 209.

دولة رابح إلى حدوث الصدام المباشر بين السنوسية والفرنسيين ضف إلى ذلك أن المهدي لم يشتهر في علاقته مع الدولة العثمانية، التي كانت قادر على إمداده بالأسلحة والجنود والمئونة.

المبحث الثالث: مقاومة أحمد الشريف ضد الفرنسيين في تشاد في فترة إمامته:

1- إستراتيجيته في مواجهة الفرنسيين:

بعد انهزام السنوسي في معركة بئر العلالي وتمكن الفرنسيين من بسط نفوذهم وسيطرتهم على كانم التي كانت تمثل المركز الحيوي بالنسبة للسنوسيين وبعدها توفي محمد المهدي في سنة 1902م في قرو والذي تم نقل حتما به إلى الكفرة وتم دفنه في زاوية التاج وخلفه على سجادة الإمامة أحمد الشريف بن السنوسي الإمام الثالث للحركة السنوسية الذي عينه عمه المهدي قبل وفاته، وهذا نظرا للصفات القيادية والخبرة العسكرية التي اكتسبها في المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين رفقة عمه المهدي الذي صحبه معه عند انتقاله من الجغبوب إلى الكفرة.[1] واصل أحمد الشريف السنوسي الطريق الذي سلكه سابقيه[2]، فسخر كل جهوده من أجل مجابهة الاستعمار الفرنسي ونشر الدعوة الإسلامية في تلك المناطق واتخذ من الكفرة مقرا لحركته وناب عنه محمد السني لإدارة أمور الجهاد [3]في تلك الظروف رأت فرنسا أن تغير من سياستها الاستعمارية في اتجاه بلدان إفريقيا الوسطى، حيث أنه بعد نهاية مقاومة رابح فضل كانت فرنسا، إخضاع المناطق الشرقية من تشاد وهي سلطته تشاد، حيث كانت في هاته الفترة تحت سلطة إبراهيم يوسف، الذي حكم من (1899-1901) والذي تم عزله وجاء من بعده أحمد غزال، لقد أخذ التغلغل الفرنسي في منطقة ودامي أساليب وأشكال مختلفة، مثل إثارة الفتن بين السلاطين والأمراء وأتباع سياسة فرق تسد ويعود ذلك لعدة أسباب يمكن توضيحها فيما يلي:

- اتساع رقعة المنطقة وبعد الأقاليم عن بعضها البعض وعدم معرفة الجنود الفرنسيين لجغرافيا المنطقة، كما أن إمكانياتهم كانت محدودة خاصة في مجال النقل من خيول وجمال.
- أن معظم القوات الفرنسية كانت موجودة في الشمال التشادي يقاومون القوات السونسية.
- سرعة العمليات العسكرية الخاضعة التي يشنها المجاهدين على القوات الفرنسية مما خلق لهم ارتباك كبير.

[1]- شكري، المرجع السابق، ص 97.

[2]- مسعود دحي، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، يوسف بن خدة، الجزائر، سنة 2009، ص34.

[3]-محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق ، ص 217.

- رغبة القادة الفرنسيين في عدم توسيع نطاق الحرب على عدة جبهات وبهذا اتبع الفرنسيون إلى سياسة التغلغل السلمي من أجل القضاء على المقاومة التشادية المدعومة بالسونسيين وهذا التجنب الخسائر البشرية والمادية، لأن كل نصائح القادة العسكريين الفرنسيين كانت تشير إلى عدم المواجهة العسكرية ضد القوات الودادية والتي كانت تعدادها ما يزيد عن ألف مقاتل مدعومين ببعض الليبيين، ولهذا رأت فرنسا تشتيت اللمحة الودادية وانتهجت مجموعة من الآليات، فلقد استعان العقيد لارقو ببعض العملاء من الباقرمي لإثارة الفتن بين سكان السلطنة وإمراتها وخاصة أن الباقرمي كانت لها علاقة حسنة مع الفرنسيين منذ عام 1897م،كما قامت فرنسا بفرض الحصار الإقتصادي ومنع التبادل التجاري بين وداي والمناطق الخاضعة للفرنسيين، وتزايد الاهتمام الفرنسي بمملكة باقرمي حيث تم إغراقها بالسلع وتوفير الأمن والسلام بين سكانها حتى تكون نموذجا يقتدي به[1].
- إن سقوط زاوية بئر العلالي وهي من أهم المواقع المتقدمة للحركة السنوسية في منطقة كانم في الجهة الشرقية من بحيرة تشاد جعل السنوسيين يغيرون خططهم وإستراتجيتهم ويبحثون عن مركز متقدم آخر يكون القاعدة التي تنطلق منها هجماتهم وتم اختيار زاوية عين كلكة والذي اتخذوا منها مركزا أو خطا دفاعيا ومحطة لشن الهجمات الخاطفة ضد الفرنسيين ولقد دارت هاته الحرب بين القوات الفرنسية والقوات السنوسية في جبهتين في آن واحد[2].

أ- الصدام الفرنسي السنوسي في المنطقة الودادية:

كما قلنا سابقا استعملت كل الدنائس وإثارة الفتن من أجل استغلال الظرف وبالتالي تبسط يدها على هاته المنطقة، حيث دبرت مكيدة لعزل إبراهيم يوسف ودبرت كذلك مكيدة لخليفته السلطان أحمد غزال الذي تم تعيين مكانه محمد صالح الملقب بداود مره الذي وصل إلى سدة الحكم عام 1902م الذي وقع في خلاف مع محمد آدم أصيل أحد عقداء الجيش في المنطقة مما أدى بهذا الأخير إلى استنجاد بالقيادة الفرنسية[3].

حيث أن أصيل أصبح يشن هجمات على أطراف الدولة الودادية ونشر الرعب والفزع بين الأهالي فاستثمرت فرنسا في هذا الصراع والفتنة، بحيث استمالته ودفعته على توقيع اتفاقية تعاون مع الفرنسيين 1902 م

[1]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 129.

[2]-المرجع نفسه، ص 175.

[3]- نوي بن مبروك، الاحتلال الفرنسي لتشاد، (1890-1920)، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، دراسات إفريقية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة الجزائر، سنة 2009، ص 132.

ومدته بالأسلحة والعتاد من أجل تنفيذ مشروعها وتنصيبه بسلطان على الوداديين ولكن التفاف الشعب الوادي حول داود مره حالت دون تلك ولهذا غيرت فرنسا من لهجتها وأرادت استمالة داود مره وأغروه بمجموعة من الامتيازات مقابل الاعتراف بالحماية الفرنسية في المنطقة وحتى تثبت فرنسا حسن نيتها قامت سنة 1902م باعتقال محمد آدم أصيل ونفيه إلى الجنوب.

وفي ضل هاته الأحداث المتسارعة قام أحمد الشريف بتشكيل جبهة إسلامية ضد الغزو الفرنسي الزاحف من جنوب تشاد إلى شرقها وشمالها فقام بالاتصال بسلطان وداي داود مره سنة 1903م وأقنعه سحب اعتراف واداي بالحماية الفرنسية على كانم وباقرمي، واستجاب السلطان داود لذلك وسحب اعترافه بالحماية الفرنسية[1].

لقد أدى موقف داود مره وسحب اعترافه بالحماية الفرنسية في المنطقة إلى تذمر الفرنسيين الذين غيرو لهجتهم اتجاه داود مرة وهذا يتحريض أعوان أصيل في نواحي مدينة أبشا وهي عاصمة وادي وفي واشركت القوات الفرنسية مع قوات أصيل الذي جاء من المنفى وهاجمت القوات المشتركة 1909م عاصمة مملكة وداي وتم إرغام داود مره على تسليم نفسه للقوات الفرنسية، أو الانسحاب وبعد معركة حامية وطيس،أرغم داود على الانسحاب واتجه إلى المناطق الشرقية إلى منطقة أنيدي وبوركو والتبستي في الشمال التشادي الذي كان في استقباله أحمد الشريف بصفته حليفا له.

فسانده ووضع معظم قواته تحت تصرفه ودعمه بالأسلحة وقام احمد الشريف بالاتصال بالسلاطين المجاورين وخاصة الذين يتواجدون في المناطق الغربية من السودان وهذا لإعانة داود مره في حربه ضد الفرنسيين ومن أبرز السلاطين أولئك علي دينار[2] والسلطان تاج الذين كان هدفهم ومسعاهم هو تكوين جبهة إسلامية موحدة تقف في وجه الاستعمار الفرنسي الصليبي، وبدأت الإمدادات تصل إلى قوات داود مره، وكان الرد سريعا من طرف القوات الفرنسية وتحت قيادة المقدم مول **MOLL** الذي يشرف على العمليات العسكرية في تشاد، فقام هذا الأخير بحشد قوة عسكرية كبيرة انطلقت من دار مساليت باتجاه نقطة الحدود بين دارفور ووداي وكان هدفه قطع الإمدادات التي تصل من دارفور إلى وداي وفي سنة 1910م قامت قوة عسكرية بقيادة فينيك بالهجوم على مقر الجنينة بقرية بئر الطويل واشتبكت القوتان ودارت معركة ضارية أبانت فيها قوات داود عن قوتها وخلقت

[1]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق، ص 217.

[2]- شكري، المرجع السابق، ص 99.

خسائر مادية وبشرية بصفوف القوات الفرنسية[1]، حيث تم القضاء على الضابط فنشيك والملازمين بير وبلاك وباسيير والرقيب برانجي وما يزيد عن 100 مقاتل فرنسي و80 مقاتل من أتباع قوات أصيل، وقد فرت مجموعة إلى إبلاغ البرلمان الفرنسي بهذه الأحداث والذي بدوره أمر حينها تخصيص أموال لتدعيم القوات الفرنسية المتواجدة في تشاد[2].

لم تتوقف الهجمات الفرنسية عند هذا الحد بل استأنفت هجومها على القوات الإسلامية المتحالفة في سنة 1911م بقيادة النقيب مودات **Modat** [3]، وهاجمت قوات السنوسي حاكم داركوتي الذي خاض معركة كبيرة دوخت الفرنسيين وأسفرت عن استشهاده مع عدد من معاونيه ومائتان وعشرة من مقاتليه بينما قتل الفرنسيين مائة وعشرة جنود وعدد كبير من قوات أصيل المتحالفة ولقد كانت عدة أسباب أدت إلى حدوث هاته المعركة كانت انتقام لمقتل السلطان تاج الدين الذي قتل في معركة دورتي ودليل الانتقام وقوة الرد أن أهالي المساليت عندما يلقون القبض على أي فرنسي يقومون بذبحه ورميه للسباع وفي بعض الحالات إلى حرقه وإضافة إلى ذلك بث دعايات من أجل إرهاب الفرنسيين والتي تقول أن أهالي المساليت يأكلون البشر مما جعل الفرنسيين يتراجعون عن ميدان المعركة وبعد نهاية القتال أرهبت القوات الفرنسية والتي تراجع إلى غرب أبشا[4]، وفي ظل هاته الأحداث المتسارعة نصبت الإدارة الفرنسية في تشاد أصيل ملكا على البلاد، وهو الذي كان الذراع الأيمن للقوات الفرنسية وأظهر وفاؤه لها وشارك مع قواته في جل المعارك مع القوات الفرنسية في القرى والمدن التشادية ولم يسلم شعبه من بطشه وجبروته وعنفه وكل أشكال التعذيب والقهر[5].

حقيقة كان أصيل بمثابة الصدر الواقي الذي احتمت به فرنسا وأداة طيعة لخدمة مصالحها، وأمام كل هاته الظرفية التي استغلتها السلطات الفرنسية كانت لها نظرة براغماتية وهذا من خلال اقتناع الساسة الفرنسيون أن استقرار المنطقة يتوقف على استمالة داود مره الذي يقود المقاومة ضدها، فمقاومة مرة أخرى إلا بمنحه منصب حاكم المنطقة بعدما ضاقت بها كل السبل والطرق للقضاء عليه ولهذا غيرت فرنسا لهجتها وأسلوبها للضغط على داود مرة من أجل إرغامه على الدخول في مفاوضات ومن ذلك ما ذكره القنصل الفرنسي في الإسكندرية ربيو

[1]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص178.

[2]- نفسه، ص 178.

[3] - Jean Chapelle , Nomades Noires du Sahara les Toubous, L'harmattan Paris ,1982,P, 107.

[4]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 178.

[5]- نفسه، ص 178.

Ribat في برقيته التي بعث بها إلى وزارة المستعمرات الفرنسية سنة 1910م قائلا :" إن حكومة السودان أصدرت أمرها إلى السلطان دارفور علي دينار بأن يتوقف عن دعم داود مره في وداي كما ضغطت كذلك فرنسا على الباب العالي لإجبار أحمد الشريف إيقاف دعمه إلى داود مره وهذا ما عبر عنه القنصل الفرنسي في اسطامبول بومبار **Bompart** الذي بعث برقية إلى حكومته في 1911م قال فيها: إن الباب العالي طلب من حكومة بنغازي بأن تمنع الأهالي منطقة الكفرة والسنوسيين من تقديم أي عون إلى السلطان وداي والأمر الذي أكده أحمد الشريف نفسه في رسالة بعث بها إلى أصدقائه في القاهرة ذكر فيها أن الحكومة الفرنسية اشتكت إلى الدولة العلية بأن قوات المجاهدين السنوسيين في تشاد والتجار الليبيين قد أعانوا السلطان محمد صالح داود مره في حربه ضد فرنسا[1].

وأمام كل هاته الظروف العويصة التي مرت بها القوات الإسلامية وأما الضغوط التي مارستها فرنسا اتجاه هذه المقاومة التي كانت في بدايتها ناجحة وحققتها انتصارات ولكن سرعان ما تراجعت وهذا نتيجة تضافر عدة أسباب.

إن أغلب المجاهدين الليبيين انسحبوا من الأراضي التشادية بالإضافة إلى تقلص الدعم المادي الذي يقدم من طرف أحمد الشريف السنوسي، لأن هذا الأخير وجه انظاره اتجاه الشمال حيث بدأ الغزو الصليبي الإيطالي بالإضافة إلى استشهاد تاج الدين سلطان الجنينة والذي كان سندا لداود مره ومقاومته للفرنسيين بالإضافة إلى استشهاد محمد السنوسي وبعض العقداء الذين كانوا معه وكذلك الفرق الواضح في عدم تكافؤ القوة بين الفرنسيين وداود مره، بالإضافة إلى التحالف الذي أقامه أصيل مع القوات الفرنسية ضد قوات داود مره ولذلك تخلى السلطان دارفور مساندة داود مره . كل هاته العوامل أجبرت داود مرة على الاستسلام للقوات الفرنسية، وبعد نهاية المقاومة وسقوط مدينة أبشا وفي 25 أكتوبر 1911م، تلقى السلطان داود مره رسالة ما الحاكم العسكري الفرنسي في تشاد وهو إيمانيال لارقو تتضمن السماح له بدخول مدينة أبشا وأعطى له الأمان على حياته وأسرته وأتباعه[2].

وفي 27 أكتوبر 1911م دخل داود مره إلى أبشا وكان متبوعا بزوجاته ومجموعة من الفرسان والعقداء 110 فارس و130 مرتجلا وكان يمتطي حصانه واستقبلته السلطات الفرنسية بكل حفاوة وحضر مراسيم

[1]-الظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 178.

[2]- نوي بن المبروك، المرجع السابق، ص 147.

الاستقبال 8 ضباط فرنسيين وحوالي 250 فارس من قوات أصيل وخصصت سلطات الفرنسية لدود مره معاش يقدر بـ بألف فرنك فرنسي إلا أن تم نفيه في نفس العام وتوفي عام 1927م[1] أما أصيل فبعد استسلام داود مره ألنت السلطات الفرنسية في تشاد أنه لم يعد مرغوبا فيه ملكا للبلاد وألقي القبض عليه سنة 1912م واتهم بالتحريض بالثورة على الفرنسيين وصدر في حقه حكم بالسجن مدة 10 سنوات في سجن فورت لامي حتى وافته المنية سنة 1912م .

ب- الصدام الفرنسي السنوسي في عين كلك :

أجرى أحمد الشريف السنوسي اتصالات مع الدولة العثمانية وأقنعهم بضرورة دعمهم والوقوف مع حركتهم وأسفرت مفاوضاته مع العثمانيين على إرسال جند من النظاميين إلى برقو وتبستي وتأسيس قائمقام في الكفرة عين الشيخ الكيلاني الأطيوش وهو والد المجاهد الكبير الذي دوخ إيطاليا صالح باش الأطيوش[2] ورفعت الراية العثمانية في وان بالقرب من عين كلك وكان المشرف على حركة الجهاد الشيخ محمد السني[3]، الذي أرسله المهدي إلى أبشا عاصمة وداي عقب انتقاله من الجعبوب إلى الكفرة، وصل المجاهد عبد الله طوير[4] سنة 1902م وانظم إلى رفائه المجاهد في زاوية عين كلكة وكانت هذه الزاوية منارة لحفظ القرآن وتلقين مبادئ الدين الإسلامي، ثم بعد ذلك بدا يعظم شأنها وهو الشيء الذي أقلق الفرنسيين الذين كانوا يبسطون نفوذهم على القارة السمراء ويستميلون الأهالي لكي ينضموا تحت الحماية الفرنسية لهذا جهزت الزوايا نفسها للدفاع عن نفسها ولصد الحملات الفرنسية وكان أحمد الشريف يعطي التوجيهات والتعليمات عن طريق مستشاره أحمد الريفي، وما إن حلت سنة 1904م حتى شنت القوات المجاهدين هجوما على القوات الفرنسية في بئر العلالي، وخلال المدة الممتدة من سنة 1902م إلى 1907م لم تستطع القوات الفرنسية التوغل إلى الدواخل وكانت إستراتيجية قوات المجاهدين والاعتماد على الهجمات الخاطفة وهذا لإرباك القوات الفرنسية، وإدخال الشك في نفوسهم، حيث استعملت الجمال كوسيلة لتنقلهم لكي لا يستطيع الفرنسيون محاصرتهم.

[1]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 179.

[2]- نفسه، ص 179.

[3]- على محمد الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق،ص 218.

[4]- هو عبد الله بن فضيل الطوير ينتمي إلى قبيلة الزوية إحدى القبائل الليبية الكبرى خاض عدة معارك ضد الفرنسيين أهمها معركة أم العظام عام 1906م كمال تشاد، للمزيد ينظر: محمد السعيد القشاط، المرجع السابق، ص ص111، 112.

وبعد استشهاد الشيخ البراني الساعدي[1]، رئيس زاوية عين كلك في سنة 1907م، وخلفه عبد الله طوير رئيسا لها وتم تدعيم الزاوية بسبعين مقاتلا وغادروا الكفرة محملين بالأسلحة والتحقوا بالزاوية وشاركت قبيلة الزوية في مقارعة الاستعمار الفرنسي وألحق بهم هزائم كبيرة واستطاع أن يصدهم على عين كلك وهناك خطاب موجه بتاريخ 1907م من المجاهد عبد الطوير إلى أحمد الريفي مستشار أحمد الشريف يعلمه فيها بالانتصارات التي حققها المجاهدون ويطلب الإمداد بالسلاح ولم يكتف المجاهدون في الدفاع فقط بل كانت لهم هجمات خاطفة، لقد كان عبد الله طوير حازما وجريئا في مقاومته للفرنسيين بفضل حرب العصبات التي اتبعها المجاهدون والتي أربكت الفرنسيون ولهذا قرر الحاكم العسكري للإقليم تشاد التوجه على رأس قوة هائلة لمباغتة المجاهدين في عقر دارهم واحتلال زاوية عين كلك لكنهم منيو بهزيمة شنعاء، وما إن حلت سنة 1909م حتى هاجم الشيخ عبد الله طوير معسكر فرنسي يقوده الملازم موتو Moutot وكان النصر حليف المجاهدين وكان المجاهد عبد الله طوير بمثابة الشبح الذي أفزع الفرنسيين ودوخهم، ونتيجة للهزائم المتلاحقة للقوات الفرنسية في كل المناطق أجبرت هاته الأخيرة على تكليف العقيد لارجوا سنة 1910م بإدارة العمليات بشمال تشاد والقضاء على حركة مقاومة السنوسية ولكن الرجل الأسطورة كان يحقق انتصارات كبيرة ولقد كتب عنه بعض الضباط الفرنسيين في مذكراتهم مثل الملازم ديفور والمقدم جوليان، وفي سنة 1911م وصلت إلى عين كلك ضابط تركي ومعه مجموعة من المسلحين الأتراك الذين كانوا في الشمال الليبي، وسلم الهدايا إلى عبد الله الطوير بصفته المشرف على الزاوية وأبلغه بإرادة الحكومة وتعيينه كقائمقام بمنطقة برقو بكاملها وطلب منه رفع العلم التركي في هذه المناطق لكن عبد الله الطوير رفض هاته الأوامر وطلب من الضابط التركي الاتجاه إلى المناطق هي تحت السيطرة الفرنسية وتحريرها من القبضة الفرنسية، وبعد أن أبلغ الأمر إلى المجاهد أحمد الشريف وافق على المطلب التركي وهذا دليل أن هذا الأخير يريد إقحام الأتراك في هذه الحرب الليبية الفرنسية على الأراضي الشمالية من تشاد، وتم الاتفاق في طرابلس على الضابط التركي برفقة مائة جندي ألباني مزودين بالأسلحة والمدفعية إلى منطقة برقو، وكانت تحت إمرة عبد الله طوير[2] .

وكان رد فعل السلطات الفرنسية والقضاء على هاته المقاومة التي وقفت عائقا أمام استكمال احتلالهم لمناطق تشاد، وبدأت الهجمات الفرنسية تتوالى وصوبت مدافعها نحو أشجار النخيل الممتدة من الزاوية إلى منطقة

[1]- هو البراني الساعدي بن حسن بن مفتاح من قبيلة زوية أسس سيدي البراني ببئر العلالي وعندما هاجمت فرنسا تشاد من الجنوب تصدى لها الليبيون وكان على رأس القيادة واستشهد في معركة عين كلك سنة 1907م، محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 50.

[2]- ظاهر محمد صكر، المرجع السابق، ص 172.

فايا وأحرقت الأشجار وأتلفت المزروعات التي أشرف على زراعتها عبد الله طوير لكن المجاهدين صمدوا أمام هاته الحملة خلال يومين كاملين وهذا بفضل الإستراتيجية التي اتبعها قائدهم الطوير وكبدت هاته المواجهة القوات الفرنسية نصف قواتهم وطاردتهم قوات المجاهدين لإخراجهم من برقو وشاءت الأقدار أن يستشهد هذا البطل في ساحات الوغى، ومات موتة الشرفاء في معركة أم العظام غرب فايا، وحتى وهو جثة هامدة لم يستطع الفرنسيون التعرف عليه إلا عن طريق بعض عملائهم، وباستشهاد هذا البطل بسطت القوات الفرنسية على منطقة زاوية عين كلك وبعدها سقطت فايا ثم قرو، مما أدى إلى انسحاب قوات المجاهدين إلى الكفرة وهناك ذلك مجاهد آخر قاد المقاومة السنوسية في منطقة تبستي وهو صالح بوكريم[1]، الذي قاد عدة معارك طاحنة ضد الفرنسيين منها معركة بسكرة وقد سقط فيها الكثير من الشهداء وقاد عدة معارك من 1910م حتى سنة 1912م، وكان بطل معركة الكوز إلى أن تم القبض عليه من طرف الفرنسيين وتم أسره في منطقة قريبة من الحدود التشادية مع إفريقيا الوسطى وأطلقه سراحه وعاد إلى الكفرة ودافع عن بلده حتى استشهد سنة 1921م .

لقد خاض أحمد الشريف برفقة معاونيه وأتباعه وبعض القبائل عدة معارك ضد الزحف الفرنسي في تشاد واتخذ من زواياه مراكز متقدمة كانت الحصن المنيع أمام الزحف الفرنسي في تلك المنطقة، وحقق عدة انتصارات باهرة بالرغم من نقص العدة والعتاد مقارنة بالقوات الفرنسية التي كانت تمتلك أحدث أسلحة علاوة على الدسائس والفتن التي زرعتها فرنسا بين حكام تلك الأقاليم بالإضافة إلى تعدد الجبهات وخاصة بعد الغزو الإيطالي لليبيا جعل أحمد الشريف يتجه شمالا لمحاربتهم والحملة التي قادها ضد الإنجليز في مصر، كل هاته الظروف أرهقت كاهل هذا الرجل وحدت من مواصلة جهاده ضد الفرنسيين في تشاد.

[1] – تولى تنظيم حركة الجهاد بشمال تشاد وكانت معه قبائل لمجابرة ووفلة وأولاد سليمان والقرعان والقذادفة وخاض عدة معارك أهمها معركة بسكرة ضد الفرنسيين كما ساهم في قيادة عدة معارك من 1910م إلى 1913م، انظر على محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا المرجع السابق، ص 231.

الفصل الثاني

مقاومة أحمد الشريف

السنوسي

للاحتلال الإيطالي

لم تكن ليبيا في منأى عن الحركة الاستعمارية وخاصة وان دول شمال إفريقيا كلها كانت تحت وطأة الاستعمار ولقد اجتمعت مجموعة من الظروف التي مهدت وساعدت إيطاليا على بسط نفوذها على ليبيا، والذي لم يكن اعتباطا أو بمحض الصدفة وإنما كان بواسطة مجموعة من الآليات والأساليب ساعدتها على مشروعها الاستعماري، ولكن الليبيون لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل كانت لهم ردت فعل خاصة من قبل السنوسيين وعلى رأسهم أحمد الشريف الذي تخلى عن مقاومة الفرنسيين في الصحراء واتجه شمالا يؤدي واجبه اتجاه بلده.

المبحث الأول: اتفاقية التسوية الدولية ودوافع احتلال ليبيا:

1- اتفاقية التسوية لاحتلال ليبيا:

بعد أن استكملت إيطاليا وحدتها 1871م سعت إلى تسخير كل جهودها من أجل البحث عن مستعمرات في شمال إفريقيا، وفي ذلك الاثناء لم تكن إيطاليا بتلك القوة العسكرية والسياسية التي تجعلها تقدم على احتلال ليبيا لهذا سعت إلى كسب الدول الاستعمارية الكبرى لكي تساندها وتعطيها الضوء الأخضر لتنفيذ مشروعها الاستعماري لهذا عقدت إيطاليا عدة اتفاقيات سرية مع فرنسا وألمانيا وانجلترا وروسيا وحتى النمسا[1].

أ/ اتفاقية التسوية مع انجلترا:لقد باركت انجلترا ووقفت إلى جانب إيطاليا لتحقيق مسعاها في احتلال ليبيا وكانت تعتبر التوسع الإيطالي هو الذي يقطع الطريق أمام فرنسا وألمانيا في طرابلس الغرب وتم إبرام العديد من الاتفاقيات السرية بين الطرفين سنة 1887م وهو بداية لبسط الإيطاليين يدهم على ليبيا، وكان مقابل ذلك هو أن تعترف ايطاليا بالحماية الانجليزية على الأراضي المصرية وهذا ما أكده اللورد سالمبوري Allard Sambray بقوله:" أن طرابلس الغرب ستكون بلاد شك من نصيب إيطاليا لكن يجب أن يتمثل بذلك الصياد الماهر الذي تتيح له الفرصة ليتمكن من إصابة فريسته ولا تفلت منه ولو كانت مجروحة[2] وقد مثل الوفاق الودي 1904م والذي كان يحتوي على بنود ولعل أهمها عدم وضع العقبات في طريق النفوذ الإيطالي في ليبيا، حيث انطلق الإيطاليون في مسعاهم الاستعماري منذ سنة 1904م إلى غاية 1911 م بداية الغزو العسكري[3].

[1]- سلام محمد علي حمزة الأسدي، المرجع السابق، ص 409.

[2]- شوقي عطاء الله الجمل، مرجع سابق، ص 362.

[3]- ناهد إبراهيم الدسوقي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، إسكندرية، المعارف الجامعية، 2008م، ص 259.

ب/ اتفاقية التسوية مع فرنسا: لقد عقدت عدة اتفاقيات بين فرنسا وإيطاليا حيث أرادت فرنسا أن تعترف إيطاليا بسلطة فرنسا على تونس بعد أن كانت من أشد المعارضين في البداية، وقد جرت عدة محادثات تهدف إلى الاعتراف الفرنسي لإيطاليا بالسيادة المطلقة على الحبشة وبعدها تطلق يدها على ليبيا ولتحقيق هاته المكاسب الإيطالية يجب أن تعترف إيطاليا بحق فرنسا في تونس، ولقد كانت إيطاليا متخوفة من فرنسا وتشك في نواياها في السيطرة على البحر الأبيض لمتوسط وعبرت عن مخاوفها إلى ألمانيا وبريطانيا، ونذكر ان فرنسا كانت تتدخل دائما في شؤون ليبيا العثمانية بشتى الوسائل ولا سيما في إقليم طرابلس وفزان.

ولما احتلت أو فرضت الحماية الفرنسية على تونس 12ماي 1881م[1]، أدت بتوتر العلاقة الإيطالية والفرنسية وقد تناست إيطاليا العداء مع النمسا ودخلت في تحالف مع ألمانيا والنمسا بقيادة المستشار الألماني بسمارك bismark، وكان من أجل استعادة إقليمي الألزاس واللورين وصرف نظر فرنسا عنهما ووجهت إيطاليا أنظارها إلى شمال إفريقيا واتجهت إلى بلاد الحبشة وتلقت هناك هزيمة في معركة عدوة 1886م، مما أدى الإيطاليين إلى الدخول في مفاوضات وعقد اتفاقيات مع فرنسا وعقدت اتفاقية 1899م يتم من خلالها تقسيم النفوذ بين الدولتين في غرب ووسط إفريقيا.

وفي سنة 1900م أبلغ السفير الفرنسي في روما وزير الخارجية الإيطالية بمضمون الاتفاقية والتي تقر أن طرابلس الغرب خرجت من تفكير فرنسا وردت إيطاليا أنها لا تمانع إذا قامت فرنسا مستعمرات في مراكش (المغرب) وفي نفس السياق يحق لإيطاليا نفس الشيء في طرابلس وبرقة[2]، وتم التأكيد على هذا الاتفاق مجدد في 1902م، بحيث يقر هذا الاتفاق على التنازل الفرنسي عن منطقة ليبيا في المقابل تنازل إيطاليا على مطامعها في مراكش[3]، وتم أخيرا إقرار فرنسا بصفة نهائية على احتلال ليبيا من طرف الإيطاليين.

ج/ التسوية الإيطالية الألمانية: لقد كانت إيطاليا تتحين أي فرصة مثل المؤتمرات والأحلاف الدولية مثل مؤتمر برلين 1878م ومنها الحلف الثلاثي سنة 1883م الذي يضمها إضافة إلى ألمانيا والنمسا والمجر الذي تم تحديده سنة (1887م-1891م)، وهذا من أجل الحصول على ضمانات مستقبلية في تونس ولكنها عادت من مؤتمر برلين بأيدي نظيفة فارغة لأن ألمانيا وبريطانيا وعدتا فرنسا بحرية التصرف في الإقليم الذي كان يعرف بالتاريخ

[1] -HOLLIL CHRISTOPHER , ITALY in AFrica Londop.1941-p21.

[2] - بروشين، ليبيا في العصر الحديث من منتصف اقرن السادس عشر حتى مطل الفرن لعشرين م ج ل و ت، ص522.

[3] - سلام محمد حمزة الأسدي، مرجع سابق، ص 409.

القديم بقرطاج، وذلك ثمنا لقبول فرنسا بالاحتلال البريطاني لقبرص، والحقيقة أن المصالح الأوربية متداخلة فيما بينها فإن ألمانيا تنازلت عن أطماعها في تونس من أجل أن تغض النظر فرنسا عن الانتقام لخسارتها في حرب 1870م، التي دارت بينها وبين ألمانيا عن تطوير رغبتها الاستعمارية في ولاية طرابلس الغرب، وحاولت أن تستفيد من الاحتلال الفرنسي لتونس التي كانت لإيطاليا أطماع فيها. وفعلا أفلحت في عزل إيطاليا عن كل من فرنسا وبريطانيا وبالتالي في إقناعها بالانضمام إلى الحلف الثلاثي (ألمانيا- النسما- المجر) الذي أصبح ثلاثيا سنة 1883م وفي سنة 1887م وقع الزعيم الألماني بسمارك اتفاقا ثنائيا مع إيطاليا اعترف فيها بحقها في احتلال ولاية طرابلس وبرقة ورغبة منه في تقوية علاقات التحالف مع إيطاليا من جهة وإثارة الصدام بينها وبين فرنسا من جهة أخرى خاصة إذا ما زادت من توسع نشاطها في الشمال الإفريقي[1].

وعلى ما يبدو أن العلاقات الجيدة التي تربط الدولة العثمانية مع ألمانيا كان لها دور كبير في التردد العثماني في تأييد إيطاليا في خطتها الاستعمارية لولاية طرابلس الغرب إلا أنه مع ذلك كانت الضمانات التي منحتها إيطاليا لألمانيا والنمسا من أن عملها الحربي ينحصر في نطاق حول البحر الأبيض المتوسط والامتناع قدر الإمكان من أعمال شأنها أن تثير انعكاسات في البلقان ولأن إيطاليا ربطت بين التأييد الألماني النمساوي لها لاحتلال طرابلس الغرب وبين مواقفها على التجديد الحلف الثلاثي ثانيا، إلا أن عدم رغبة ألمانيا في احتلال ولاية طرابلس الغرب لم يمنعها أن توليها الاهتمام الكبير لرعاية مصالحها التجارية والاقتصادية عبر الصحراء، حيث أشار الرحال الألمان إلى أهمية مدن الولاية التجارية وفي مقدمتها مدينة غات الذي تعتبر مركزا مهاما للتجارة في جنوب الصحراء الإفريقية المؤدية إلى أوربا[2].

د/ التسوية الإيطالية النمساوية:

لقد كانت وعود النمسا لإيطاليا ضمن اتفاقية الحلف الثلاثي الموقعة بينهما موافقتها على حرية التصرف اتجاه ليبيا ولاية طرابلس الغرب، وذلك أثناء تجديد اتفاقية الحلف الثلاثي، الذي يضم إيطاليا ألمانيا والنمسا والمجر، وفي تصريح رسمي مكتوب أعلن وزير الخارجية الإيطالي أن النمسا ستكون محايدة في حالة أي نتيجة للظروف الراهنة أو بسبب تطورات قد تحصل.

[1]- سلام محمد حمزة الأسدي ،المرجع السابق، ص 410.

[2]- نفسه، ص410.

في ليبيا تجد إيطاليا نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات تطلبها مصالحها القومية والحقيقة أن هاته التعهدات لم تكن ضرورية لأن الحلف الثلاثي بموجب المادتين التاسعة والعاشرة من عقده قد تضمنها منهاجه عند تجديده للمرة الثالثة سنة1891م، وهذا تستنتج أن الموقف النمساوي كان مؤيدا في احتلال إيطاليا لولاية طرابلس الغرب، ولعل العلاقات الجيدة التي كانت تربط الدولة العثمانية مع ألمانيا ألقت بظلالها على كل العلاقات التي كانت سائدة بين أطراف الحلف الثلاثي.

هـ/ التسوية الإيطالية الروسية: لقد كانت التسوية الروسية الإيطالية في احتلال ولاية طرابلس الغرب متأخرة، فعقدت اتفاقية بين الطرفين في أكتوبر 1909م، وتعهدت إيطاليا على إثره في مساندة إيطاليا لروسيا في احتلال المضايق وفي المقابل تطلق إيطاليا يدها على طرابلس الغرب. ومنه استكملت إيطاليا تسوياتها مع الدول للإنفراد في احتلال ولاية طرابلس وأصبح احتلالها مسألة ظرفية زمنية فقط، فقد أكد ذلك جيوليتي رئيس الوزراء الإيطالي في مذكراته قائلا:" قد حصلت أثناء زيارة قيصر روسيا إلى راكونيجي على اعتراف بحقوقنا في تلك المنطقة من جانب رسمي..."[1]

1) دوافع احتلال إيطاليا لليبيا:

أ/ الأسباب التاريخية:

عندما حققت إيطاليا جودتها الوطنية سنة 1871م أرادت أن تجد لنفسها موقع في المستعمرات خاصة في شمال إفريقيا وأن تنافس الدول الاستعمارية التقليدية فرنسا وبريطانيا على المستعمرات الإفريقية [2]، وقد خلقت الأوضاع التي مرت بها إيطاليا عبئا ثقيلا أثقل كاهلها وتمثل في عدد المسجونين الذي خلف للخزينة الإيطالية أعباء كبيرة ونفقات أربكت اقتصادها، ولهذا كان على الحكومة الإيطالية أن تبحث وتفكر في إيجاد مستعمرات، فجعل الحكومات التي تعاقبت في الحكم في إيطاليا طرحت فكرة إيجاد مستعمرات جديدة،وبذلت كل الجهود لتحقيق غاياتها واستقرارها، وأصبحت قضية مهمة وجوهرية لكل ساسة ومسؤولي الحكومة الإيطالية[3].

[1]- عبد المنصف حافظ البوري، حافظ البوري عبد المنصف، الغزو الإيطالي لليبيا، الدار العربية للكتاب، ط1، 1983م، ص 22.

[2]- شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديثة والمعاصرة، الرياض، 2002م، ص 242.

[3]- مصطفى محمد بازمة، بداية المأساة، ط1، بنغازي، المطبعة الأهلية، 1971م، ص14.

منذ بداية القرن التاسع عشر دخلت الحكومة الإيطالية في مفاوضات مع البرتغال من أجل الحصول على مستعمرات في إفريقيا ولكن رد السلطات البرتغالية كان رافضا لهذا المقترح، وتكررت محاولات الإيطاليين للحصول على جزر سواء في البحر الأحمر أو بحر الصين إلا أن هاته المحاولة كذلك لم تفلح وهذا لأن إنجلترا وهولندا كانتا قد استحوذتا على أغلب الجزر، ولهذا السبب رفضت ايطاليا مقترح نابليون الثالث للاشتراك مع فرنسا من أجل بسط السيطرة على تونس، ونتيجة تبخر حلم إيطاليا في استحواذ على تونس وجهت أنظارها نحو ولاية طرابلس الغرب[1]، ولعل أن هناك الكثير من العوامل والمؤثرات الخارجية التي عجلت بتواجدها في الشمال الإفريقي، إن الدولة العثمانية كانت قد أرسلت الكثير من التعزيزات الأمنية وزادت من عدد قوتها وهذا لتخوفها بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس بالإضافة أن إيطاليا كانت لم تضمن تأييدها المطلق من طرف الدولة الاستعمارية التقليدية، زد على ذلك أن الحكومة الإيطالية لم تكن لها صورة واضحة عن طرابلس الغرب وتخوفها من عدم نجاح أي حملة عسكرية .

وفي سنة 1882م قام البرلماني الإيطالي بإنشاء مشروع ومن بين ما ينص عليه هو إقامة مستعمرات في الساحل الغربي للبحر الأحمر، وهذا بعد أن قامت بشراء ميناء عصب (ارتيريا حاليا) من طرف الشركة الإيطالية روباتينو **Rubatino** وبسطت نفوذها على المنطقة بالإضافة إن إيطاليا خرجت من مؤتمر برلين وعود جادة في الحصول على مكاسب وضاعت أمالها في استخلاص المناطق الإيطالية من يد النمسا، وقد دعم الاتجاه الاستعماري.مما أعطى الفرصة للحكومة الإيطالية لتمضي قدما في استعمار شرق أفريقيا، حيث احتلت منطقة ماصوع التي كانت تابعة لمصر، وهذا تنفيذا لخطة "ما تسنتي" **Matssini** الذي كان وزير للخارجية، وتم هذا الاتفاق مع بريطانيا التي لم تجد أي مانع في توسعات إيطاليا، ولقد تواصل الامتداد الإيطالي إلى منطقة دارفور في السودان غربا تدريجيا نحو الشمال وتواصل إلى السواحل الإيطالية، ولم يقف الحد إلى هذا بل تعداه إلى المناطق التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، ولقد عمل رئيس الوزراء إيطاليا " فرانسيسكو كريسبي " **Francesco crespi** على مواصلة التوسع الاستعماري على موانئ شرق إفريقيا والعمل على احتلال أثيوبيا والتي هزمت فيها القوات الإيطالية شر هزيمة في معركة عدوة الشهيرة وتكبدت فيها القوات الإيطالية خسائر فادحة[2].

[1]- محمد رجب الزائدي، الغزو الإيطالي لليبيا مقدماته وغاياته، ط1، بنتغازي، دار الكتاب الليبي (1974)، ص 52.

[2]- رياض زاهر، استعمار إفريقية،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، ب ط، 1965م، ص 223.

ب/ الدوافع السياسية:

لم تعرف إيطاليا استقرار سياسي في منظومتها الحكومية وهذا من خلال تعاقب الكثير من الوزراء فكانت تتغير بصفة دورية وفي فترات زمنية متقاربة وهذا ما أثر على تنفيذ مخططاتها نظر لضيق الوقت وكل الحلول التي كانت تأتي بها تلك الوزارات هي عبارة عن حلول ترقيعية وظرفية ودائما تصرف نظر مواطنيها أما خارجيا أو داخليا، كالبحث عن المستعمرات أو الدخول في صراعات مع الدول المجاورة وهي سياسة اتبعها الوزراء المتعاقبون على الحكم من أجل توجيه إلى الرأي العام الداخلي إلى مشاكل خارجية، لقد تداولت عدة حكومات في الفترة ما بين (1891م- 1911م)، حيث وجهتها عدة مشاكل داخلية بعد استكمال وحدتها[1]. من بين هاته المشاكل التباين بين طبقات الشعب الإيطالي والأزمات الاقتصادية التي أنهكت كاهلها، وهذا ما جعل البحث عن مستعمرات واردة في كل جدول أعمال أي حكومة، وعملت على إقناع الرأي العام الداخلي بحتمية التوسيع الخارجي الذي يكون المفتاح الذي يحل كل المشاكل، ونلاحظ أنه خلال فترة بلغت أربعون سنة عرفت إيطاليا أكثر من عشرين وزارة الذين أبانوا عن عجزهم على عدم التحكم في الاستقرار السياسي وكانوا يلجئون إلى فكرة الغزو الاستعماري.

ونجد أيضا أن البرلمان الإيطالي لم يعرف الاستقرار مما أثر سلبا عن استقرار الحياة السياسية وكان له نفس موقف الحكومة في التوجيه الاستعماري، فلقد كانت البرلمان فاقدا لرقابة الحكومة والمؤسسة التنفيذية ومصيره بين أيدي الساسة في حله أو الإقالة، إن الحكومة الإيطالية كانت بعيدة كل البعد على الرقابة البرلمانية[2].

ج/ الدافع اقتصادي:

بعد أن توحدت الدويلات الإيطالية ظهرت عدة متغيرات في البيئة الاقتصادية فلقد واجهتها صعوبات جمة نتيجة ضعف الموارد المالية والأزمات الاقتصادية المتعددة التي شهدتها البلاد مما تسبب في ركود الصناعة خاصة وأنها تعاني من شح في المواد الأولية واللازمة للصناعات الثقيلة، إلا أنه بعد حلول عام 1890م حتى بدأت إيطاليا فترة اقتصادية نشطة شملت مجالات واسعة في الصناعة والزراعة والخدمات، ورغم أن إيطاليا قد بدأت الثورة الصناعية متأخرة فقد بدأت تخطو خطوات سريعة نحو الإنتاج ويظهر التقارب بين المناطق والمدن في إيطاليا، قد

[1]- خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها سلسلة الكتاب، الليبي، بط، مصلحة المطابع، طرابلس، 1963م، ص91.

[2]- عبد المنصف حافظ البوري، مرجع سابق، ص ص، 73، 74.

تمركزت الصناعة في الجهة الشمالية في مدن ميلانو، ونورينو وجنوة، وأصبح النمو الصناعي يحقق طفرة نوعية بمرور السنوات، وخطت خطوة واسعة في التحول من بلد زراعي متخلف إلى بلد صناعي بامتياز وسعت إلى الالتحاق بالدول الأوربية التي سبقتها في هذا المجال تدعمت المؤسسات بالطاقة والمعدات واستخدمت المحركات البخارية وتطورت صناعة السفن، وربطت دواخلها بخطوط السكك الحديدية[1]. فازداد إنتاج المواد الأولية بشكل متسارع فارتفع إنتاج الحديد 190 ألف طن سنة (1900م) إلى 210 ألف طن سنة (1911م)، وكذلك شهدت صناعة السيارات والصناعات الكيماوية تطورا وحققت أرباح، أما الجانب التجاري فشهد فقرة نوعية حيث أرتفعت قيمة الصادرات والواردات من 2 مليون و 600 ألف ليرة إيطالية سنة 1896م إلى 5 مليون 900 ألف ليرة سنة 1900م . وما إن قطعت إيطاليا أشواطا كبيرة في الإنتاج أصبحت توجهها مشكلة البحث عن الأسواق الخارجية لتصريف منتوجاتها، وهذا بسبب تتابع الأزمات مثل أزمة (1900م) وأزمة (1901م) والتي أثرت على الصناعات كالنسيج وبعض الصناعات الصغيرة وكان نتيجة كساد في عدد من الصناعات فتقلصت أسهم الشركات الإيطالية وهذا ما دفع بإيطاليا إلى الاقتناع بفكرة التوسع الاستعماري للحصول على المواد الأولية والبحث عن الأسواق، لأنها في غالب الأحيان كانت تضطر إلى دفع مبالغ ضخمة وكبيرة من أجل الحصول على المواد الأولية، والتي كانت تمتلكها الدول الأوربية نتيجة مستعمراتها الغنية بهذا المواد.

واحتلت إيطاليا المركز الثالث سنة 1908م بعد إنجلترا وفرنسا في حجم المبادلات التجارية مع طرابلس ومن بين المنتجات التي تصدرها إلى طرابلس، الشيح والأوراق والخشب وبعض المواد الغذائية، وبمرور الوقت أصبحت مستعمرة إيطالية وهذا بعد الاتفاق الذي عقدته مع الدولة العثمانية، لتصبح الدولة الأكثر رعاية في هذه المنطقة وهذا ما جعلها أداة ضغط للاقتصاد ومهد لاحتلالها، وهذا ما كرسته الدول الأوربية في تأييدها للتوسع الإيطالي من أجل احتلال طرابلس في أقرب وقت.

د/ الدافع الاجتماعي:

لقد عانت إيطاليا عدة مشاكل اجتماعية تمثلت في انخفاض الدخل الفردي وتدني الأحوال المعيشية وتفشي الأمية والبطالة والأمراض والأوبئة، مما أدى إلى ثوران الجبهة الاجتماعية التي أثرت على الاستقرار السياسي

[1] – عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 49.

وحتى الاقتصادي، مما عرض البلاد إلى اضطرابات ولهذا بدأت الأصوات تتعالى من أجل التوسع الخارجي نتيجة للأوضاع الجد متدهورة[1].

إن البحث عن مستعمرات جديدة سيكون الحل الذي يحل مشاكل إيطاليا وكان الفكر الاستعماري مطلب جزء الكبير من الشعب الإيطالي الذي كانوا يطمحون إلى عودة روما إلى أمجادها القديمة وخاصة الرأسماليون الذين كانت لهم أطماع كوجود أسواق جديدة والحصول على المواد الأولية والتخلص من مشاكل الفلاحين، وهذا لن يتم إلا بإيجاد مستعمرة قريبة تمثل امتدادا لإيطاليا تتوفر على أراضي خصبة[2].

كما شكلت مجموعة من الأوضاع الاجتماعية انقساما سياسيا واقتصاديا كانت له مجموعة من الانعكاسات السيئة مثل تباين المنطقة الشمالية والجنوبية، فالشمال كان مقدما من الجنوب سبب ارتفاع الأجور التي يحصل عليها العمال والطبقة الوسطى من الموظفين، وكان لهذا التباين انعكاسات وأدى إلى اضطرابات، وعملت الحكومة الإيطالية جاهدة من أجل إعادة الرفاهية إلى الجزء الجنوبي. وهناك كذلك أمر آخر يتمثل في الطبقات الاجتماعية وتزايد عدد السكان بشكل مذهل خاصة في الأرياف، الايطالية الجنوبية شكا عاتقا أمام الحكومة الايطالية فمعدل الزيادة مليونين نسمة كل عشر سنوات وهذا الكم الهائل لم تستوعبه الأراضي وأدى هذا إلى زيادة في القطاعين إلى الزراعي والصناعي[3].

وكذلك بالنسبة للتعليم الذي ظل محصورا في مناطق محدودة ولم يكن بمقدور الحكومة تعميمه في الأقاليم التي يكثر بها الفقر وكذلك نجد أن الهجرة كانت بنسبة كبيرة وتفشت في المجتمع الايطالي فاغلبهم هاجروا إلى أمريكا اللاتينية .

[1]- بروشين(ليبيا) المرجع السابق، ص 417.

[2]- محمد إبراهيم لطفي المصري، تاريخ حرب طرابلس، ط1، مطبعة الأمير فاروق القاهرة سنة 1936، ص 30.

[3]- ز.ب باخيموفتش،الحرب التركية الإيطالية '1911-1912)، تر هشام صالح التكريتي، ط1، منشورات الجامعية الليبية، بيروت، 1970،ص 28.

المبحث الثاني: سياسة الاحتلال الإيطالي لليبيا وموقف الدول الأوربية:

1- سياسة التغلغل السلمي:

إن احتلال إيطاليا لليبيا لم يكن اعتباطا وإنما أخذ أساليب للتوغل السلمي فكان الجانب الثقافي والاقتصادي أبرزها فكانت هاته الطوق قناة عبرت من خلالها إيطاليا للوصول إلى أهدافها وإيجاد المناخ الملائم لتنفيذ مشروعها الاستعماري الصيلبي.

أ/ البعثات الاستكشافية التجسسية:

وكانت أول الأدوار التي استغلها الإيطاليون بهدف النفوذ على اقتصاديات ليبيا وأهميتها الإستراتيجية وأوضاعها الاقتصادية. وكيفية الاستثمار في احتلالها لقد لعب كامبيرو دورا مهما في إنشاء الجمعية الميلانية الاقتصادية للاستكشاف وقامت هاته الجمعية بالعديد من الرحلات الكشفية في ولاية[1] طرابلس وبرقه، حيث أرسلت بيتروا ماموبل في سنتي (1882م-1883م) وينشيني في عام 1895م وفينسا (**Vinisa**) ويندريني في عام 1901م وهاليفيرد ودي سانكتيس عام 1911م وبيباترا المراسل الصحفي الذي بعث بعدة مقالات أثناء وجوده بطرابلس قبيل الاحتلال، وكانت هدف هذه البعثات لدراسة أوضاع الأتراك في ليبيا وإمكانيات البلاد الدفاعية، فنجد أن أحد الدبلوماسيون الإيطاليون شيراز باليو **SHERAZO BALLIO** يقول:" عندما تحقق إيطاليا وحدتها علينا أن نفكر في التوسع شرقا أو جنوبا سواء في تونس أو طرابلس وبرقه وحقيقة كانت لهاته البعثات الاستكشافية في مظاهرها عملية إلا أنها كانت هدفها استطلاعي من أجل التمهيد للحركة الاستعمارية الصليبية.

ب/ المدارس الإيطالية:

لقد كان دور المدارس التي أقيمت في ولاية طرابلس قبل الغزو هدفه غرس الثقافة واللغة الإيطالية وتعميق الدور الحضاري الإيطالي، وكان مسعاها طمس معالم الحضارة الإسلامية، وأعدت لذلك مناهج خاصة كان اهتمامها نشر الثقافة الإيطالية عن طريق زرع أفكار ومبادئ تقويهم وترغبهم في السلطة الإيطالية، ولقد توزعت المدارس الإيطالية في كل من طرابلس وخمس وبنغازي، ودرنة وكان بعضها من صنف المدارس الابتدائية لمختلف الجنسين، وقد كان هذا التعليم بمختلف اللغات: الإيطالية والعربية واليونانية والانجليزية والعبرية، وقد ذكرها السفير

[1]- الجمعية الإيطالية للمستكشفات التجارية، جمعية إيطالية تجارية أسست سنة 1879، للمزيد ينظر: أحمد عطية المدلل، المرجع السابق، ص 56.

الأمريكي "هنري سيرانوفيلار"**HENRY SERRANO FILAR** في مذكراته [1]. ولم تفوت إيطاليا الفرصة في بناء المؤسسات الدينية الكاثوليكية، على عكس الدولة العثمانية التي لم تنشأ إلا أربعة مدارس ويرجع هذا إلى تردي الأوضاع والضعف الذي نخر جسد الدولة العثمانية، وقد كان للمدارس الإيطالية دورا فعالا في نشر الثقافة الإيطالية واستعملت كوسيلة يعبرون من خلالها على العلاقة الطيبة والحميمية بين إيطاليا والسكان الطرابلسيين وإرضائهم كهدف رئيسي.

ج/ المشاريع الاقتصادية:

لقد اعتمدت إيطاليا في مرحلة توغلها السلمي الممهد للغزو العسكري مشاريع اقتصادية، كأسلوب يمكن الاعتماد عليه من أجل بسط نفوذها والسيطرة على الاقتصاد الليبي، واستعماله ذريعة لتنفيذ مشروعها الاستعماري، فسخرت مجهودها من أجل البحث عن جهاز مالي يحمل على عاتقه القيام بمشاريع اقتصادية في ولاية طرابلس الغرب فأنشأ بنك روما [2]، الذي قام بإنشاء فروع لع في طرابلس سنة 1905م إلا أن المشروع الاقتصادي لقي معارضة شديدة من طرف الوالي رجب باشا الذي كان يدرك أن مثل هاته المشاريع تمس بالسيادة الوطنية وما هي إلا تمهيد لمشروع استعماري، ويذكر جولييتي في مذكراته أن هذا البنك لعب دورا مهما في الضغط على الحكومة الإيطالية، وهذا حين أعلن بيع كل مؤسساته لشركات ألمانية ونمساوية ما لم تضع حد للعرقلة العثمانية، وكانت مهمة هذا البنك كذلك بشراء الأراضي هي الحاليات بمبالغ خيالية وخاصة اليهود الذين أغرتهم تلك المبالغ الضخمة، واستغل مصرف روما الأوضاع المتردية التي عاشتها ولاية طرابلس من أوبئة ومجاعة وجفاف.

2- الغزو العسكري لليبيا:

أ/ مرحلة الإنذار: قبل تسليم الإنذار إلى حكومة اسطنبول أرسلت برقية إلى كل من مفوضيات إيطاليا في أثينا، بلغراد، صوفيا، وبوخارست وقناصلها إلى سالونيك، وبقيت المدن البلقانية والتي نصت على أن المملكة الإيطالية مصممة على حل المسألة الطرابلسية بما يتفق ومصالح إيطاليا ولكن أيا كانت الطرق التي ستتبعها لبلوغ هذه الغاية وأساس سياستها سيظل دائما الاحتفاظ بالوضع القائم في أرضاي البلقان والإمبراطورية العثمانية في أوربا ولقد أثارت الحكومة الايطالية النزاع عندما واجهت في 23 ماي 1911 م مذكرة إلى الحكومة العثمانية عن طريق دي

[1]- هنري سيرالنوفيلار : ليبيا المملكة العربية الجديدة، تر عثمان المثلوثي، منشورات المدى، ليبيا، ط1، سنة 2013، ص 50.
[2]- بروشين، (تاريخ ليبيا الحديث)، المرجع السابق، ص 388.

مارتينو وجاءت هاته المذكرة عشية مغادرة الباخرة (درنة)، اسطنبول محملة بالأسلحة والذخائر والضباط العثمانيين اتجاه طرابلس وحذرت المذكرة الباب العالي من الخطر الكبير الذي يهدد الأمن في طرابلس وفي 25 ماي من نفس السنة صدرت مذكرة جديدة تتعلق بوصول سفينة لنقل (الباخرة درنة) إلى شمال إفريقيا[1]،و كانت تضم هاته المذكرة بمجموعة من المطالب منها إخراج القوات العثمانية من طرابلس، ولا يتم تعيين والي طرابلس إلا لموافقة ايطاليا وبعدها استدعى رئيس الوزراء العثماني " إبراهيم حقي باشا" مارتينو يوم 26 أيلول 1911م، وتم تأخذ توصيات الدولة العثمانية بعين الاعتبار، وحقيقة أن السلطان العثماني ورئيس وزرائه حقي باشا لم يوفقا في إيجاد صيغة نص مناسبة للرد على الإنذار الإيطالي واضطر السلطان في استدعاء مجلس الشيوخ سعيد باشا ضانا منه أنه يكون له حلا إيجابي وتم مقابلة والالتقاء حقي باشا في البداية وطالبه في إيجاد حل مناسب يكون على الإنذار الايطالي بشكل سريع لكن سعيد باشا الذي كان متعظا من سياسة الوزير الأول التي تريد التفريط في طرابلس الغرب وأمام كل هاته الظروف المزرية والمتدهورة لم تجد الحكومة الإيطالية بدا في إعلان الحرب على ولاية طرابلس، وجاءت المذكرة التي قدمها " دي مارتينو" (**Dimartina**) القائم على الشؤون الإيطالية في اسطنبول في 29 ماي 1911م وقال:" بما أن الدولة أو الحكومة الإيطالية لم تستلم من الدولة العثمانية جوابا صريحا بالتعهد لحماية المصالح الإيطالية في طرابلس الغرب، ولم تصدر أمرا للمسئولين بأن يتجنبوا إساءة معاملة الإيطاليون التي مازالت مستمرة، فإن إيطاليا لا يمكنها أن تتغاضى عن هذا الوضع الأليم، لذلك تقطع الدولة الايطالية علاقاتها الطبيعية والسلمية وتعلن الحرب على الدولة العثمانية وستقوم بسحب جاليتها من هناك[2]، ولما انقضت 24 ساعة من إرسال الإنذار ردت الخلافة الإسلامية إلى سفير إيطاليا باسطنبول إلى الحكومة الإيطالية، وأما هاته الظروف قدم حقي باشا استقالته ليتولى بعده سعيد باشا منصب رئيس الوزراء للدولة العثمانية.[3]

لقد قامت حكومة الاتحاد التركي في التنصل من مسؤوليتها في الوضع الذي آلت إليه ولاية طرابلس الغرب وألقت اللوم على كل الحكومات السابقة، ولكن تستنتج أن الرد العثماني على الإنذار الإيطالي كان قبل انقضاء مهلة الأربع والعشرون ساعة ولكن الحكومة الإيطالية كانت لها نية مبيتة من أجل احتلال ولاية طرابلس

[1]- باخنيموفيتش ، المرجع السابق، ص 62.

[2]- أحمد عطية المدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881م- 1951م) الجزء الثاني، م .ج.ل. ت، الطبعة الأولى، الجماهيرية الليبية، 2007م، ص54 .

[3]- بروشين، (تاريخ ليبيا الحديث)، المرجع السابق، ص 416.

الغرب وليس له علاقة بالرد العثماني، وبذلك أن السفن الحربية الإيطالية رست في شواطئ طرابلس منذ شهر سبتمبر أي قبل إعلان أو توجيه الإنذار. [1]

ب/ إعلان الحرب وبداية الغزو:

كما قلنا سابقا أن الأسطول الإيطالي كان مهيأ للهجوم على طرابلس قبل إرسال الإنذار إلى الدولة العثمانية [2]، فلقد كانت بوارجها البحرية تحاصر الشواطئ الطرابلسية منذ منتصف شهر سبتمبر، ومنذ 29 سبتمبر 1911م على الساعة 14 والدقيقة 30، أصبحت إيطاليا في حالة حرب وتكفلت الحكومة الملكية بحماية جميع الجاليات في طرابلس وبرقة أيا كانت جنسيتها، وقامت بحصار سواحل طرابلس وبرقه[3]. وقامت القوات الإيطالية بضرب المدينة من الشرق والشمال والشمال الغربي وصدت مدافعها صوبها وبقيت تنتظر الأمر لدك المدن، ولقد كان الأسطول بقيادة " أدميرال أوبدي" وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر اليوم الثالث من أكتوبر 1911م بدأ القصف من طرف الأسطول الإيطالي في اتجاه مدينة طرابلس ومع ذلك لم تستطع تولي القوات الإيطالية إلا في يوم 05 أكتوبر بعد أن تأكدت من عدم وجود مقاومة، وكانت ايطاليا تولي أهمية كبيرة لمدينة طبرق نظرا لموقعها الاستراتيجي على الحدود الشرقية وتمنع قوات المجاهدين من الإمداد بالأسلحة من طرف مصر وفي 12 أكتوبر أصدر قائد الحملة الجنرال " كارلو كانيفا " منشورا ووزعه على سكان مدينة طرابلس وهذا من أجل استمالتهم لكي يتخلوا عن المقاومة واستخدام أسلوبا دينيا حتى يستسلم وهذا بعد أن وجد مقاومة عنيفة من طرف المجاهدين وفي 06 أكتوبر طلب الأميرال " برسبيشر" من القوات العثمانية وقوات المجاهدين تسليم مدينة درنة لكن موقفهم كان الرفض وفي مدينة الحمص، كانت السفن الحربية تواجه الشاطئ وفي 17 أكتوبر رفض المجاهدين تسليمها فقامت بقصفها والتحموا قوات المجاهدين وانتهت بانسحابهم وعودتهم إلى سفنهم وعاودوا الكرة مرة أخرى، مما أدى إلى انسحاب المجاهدين واحتلوا المدينة، أما مدينة بنغازي فقد تجمعت السفن الإيطالية التي بلغ عددها 30 سفينة يوم 18 أكتوبر وأرسل قائدها إلى المتصرف والقائد الحامية العثمانية

[1]- مصطفى بازامة ، مرجع سابق، ص 66.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الإبطال في طرابلس، ط3، دار الفتح للطباعة والنشر،بيروت، ص 76.

[3]- عبد المنصف حافظ البوري،المرجع السابق، ص 289.

يطلب الاستسلام فأخذت المدفعية البحرية في ضرب المدينة بالقنابل، ثم قامت بإنزال كل قواتها على الشاطئ "جوليانه" وبعد معارك ضارية تمكنت القوات الإيطالية من الاستيلاء على المدينة وهذا بعد انسحاب المجاهدين[1].

2/ موقف الدول الأوربية من الاحتلال الإيطالي:

حينما أتمت إيطاليا بتوجيه أنذراها للدولة العثمانية ونفذت مشروعها الاستعماري الصليبي، وهذا بعد قامت بمجموعة من اتفاقية التسوية مع الدول الأوربية التي كانت بمثابة الضوء الأخضر لاحتلال ليبيا، فلم تقم تلك الدول بمعارضة مشروعها ولهذا قامت إيطاليا حكومة وشعبا بتقديم الشكر والامتنان لهذا الدول وهذا ما قام به السيد تيتوني TITONI الذي قام بزيارة عواصم الدول الأوربية الكبرى[2]. وقد تنكرت هاته الدول إلى الدولة العثمانية ولم تحرك ساكنا لمساعدتها والوقوف ضد السياسة الاستعمارية الإيطالية، بالرغم أنها طلبت الوساطة لكن موقف تلك الدول كان سلبيا، ما عدى ألمانيا التي حاولت جاهدة في إقناع السلطات الإيطالية بالعدول عن إعلان الحرب، على عكس فرنسا وبريطانيا كان موقفهما أثناء بداية الاحتلال حيادي.

أ/ الموقف الفرنسي:

لقد طهر جليا موقف فرنسا من الاحتلال الإيطالي منذ أن عقد الطرفين اتفاقا في نوفمبر 1911م والذي يقر على قيام الحكومة الفرنسية بغلق الحدود الليبية التونسية وهذا من أجل منع تسرب الأسلحة نحو قوات المجاهدين الذين وجدوا كل الدعم من طرف أشقائهم التونسيين الذين أحسوا بثقل المسؤولية بعد أن قامت القوات الإيطالية بارتكاب أشبع الجرائم في حق الشعب الليبي، ولم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد بل واصلت في طريق الدعم للاحتلال الإيطالي وهذا حينما اقترح " سعيد باشا" الصدر الأعظم عقد مؤتمر دولي لمناقشة قضية الاحتلال وكان قد اقترح حضور الدول الموقعة على معاهدة 1878م والتي كانت تنص على السيادة العثمانية، فقامت فرنسا بوضع مجموعة من العراقيل لكي تمنع عقد هذا المؤتمر والذي استخدمه العثمانيون كوسيلة ضغط على إيطاليا للتخلي عن طرابلس وبنغازي، وعملت فرنسا كل ما بوسعها للإقناع سعيد باشا عن التخلي والعدول عن هاته الفكرة مقابل أن تمنح العثمانيين ثمن السلام،وكذلك نجد أن فرنسا لم تقم بإفشاء اتفاقية 1902م والتي

[1]- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق،ص 293.

[2]- ناهد إبراهيم الدسوقي، المرجع السابق، ص 261.

كانت بين فرنسا وإيطاليا واستعملت فرنسا أي وسيلة لضغط على العثمانيين وهذا من أجل تنفيذ إيطاليا مشروعها ألاحتلالي[1].

ب/ الموقف الانجليزي:

لقد كان الموقف الانجليزي في الأفق ويبدو جليا وواضح للعيان وكانت أن هائه منذ عقد الحكومة الإيطالية والانجليزية اتفاق سري الذي أبرم في نوفمبر 1911م وذلك لحماية الحدود المصرية الليبية، وهذا من أجل منع تسرب الأسلحة والذخيرة والمئونة من جهة ومنع مرور قوات المجاهدين والدولة العثمانية عبر مصر بالإضافة إلى منع الأخوة السوريين الذين تطوعوا للوقوف مع إخوانهم الليبيين والذين كانوا يعبون عبر مصر.

وتكرس موقف الانجليزي ضد الدولة العثمانية بعد أن ازداد حجم الدعم العربي والإسلامي للقضية الليبية التي أمنوا بها وناضلوا من أجلها وبهذا استطاعت إيطاليا أن تعزل الليبيين وتأمين حدودها سواء الشرقية أو الغربية من أي خطر يحدق بها.

ومنه نستنتج أن الاتفاقيات السرية التي عقدتها ايطاليا مع الدول الأوربية فإن دلت على شيء فإنها تدل على مدى تواطؤ تلك الدول مع ايطاليا وموقفا صريحا يعبر عن نيتهم اتجاه الدولة العثمانية والشعب الليبي، وهذا ما عبر عنه السفير الفرنسي "لاي راند" **Loy Roned** في رسالة إلى وزارة الخارجية الفرنسية قائلا:" لا شك أن الوجود الإيطالي في منطقة البحر الأبيض المتوسط سيعزز قوة فرنسا ووجود انجلترا وسيؤكد على أن هاته الدول الثلاث أصبحت سيدة الشمال الإفريقي"[2].

المبحث الثالث: أحمد الشريف ومقاومته للايطاليين:

1/ موقف أحمد الشريف من الاستعمار الإيطالي:

عند بداية غزو الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911م قام أحمد الشريف منشغلا في مقاومته للاحتلال الفرنسي في تشاد ولكنه ما أن وصل إلى مسامعه لهذا لاحتلال حتى ترك المقاومة في الصحراء الكبرى ووجه أنظاره وجهوده نحو الاحتلال الايطالي في الشمال، فأعاد ينظم الحركة السنوسية وأعاد ينظم الزوايا التابعة له في الكثير

[1]- ناهد ابراهيم الدسوقي المرجع السابق، ص 263.
[2]- نفسه، ص 264.

من البلدان، وطرح يمد جسور التعاون مع الحركات الإسلامية الأخرى وتوطيد روابط الأخوة الإسلامية بينها، وكذلك تمتين الوثاق بينه وبين تركيا[1].

وما إن هذا الغزو الصليبي الإيطالي بدأ أحمد الشريف في تسخير جميع جهوده للمقاومة فحول زواياه إلى معسكرات ومراكز الجهاد لأتباعه منضوية تحت قيادة الضابط الأتراك، وعمل كل ما بوسعه من أجل تزويد كل المجاهدين بالعدة والعتاد لكل الأطراف[2]، فقام بجمع الشيوخ والعلماء والقادة وعرض عليهم موقفه من الاحتلال الايطالي، واستشارتهم على توجه الشيوخ وعلماء الحركة إلى ساحات الوعي وقال كلمته المشورة " والله نحاربهم ولو وحدي بحصاني هذه " ولقد كان موقف السنوسي نابع من قوته الإيمانية التي تدفعه إلى الدفاع عن بلده ولم تراوده أدنى فكرة للخضوع أو الاستلام للعدو وقال لهم مرة أخرى أن موقفه لا يقبل المشاورة.

وعند نزول الايطاليين على الساحل الليبي الذين كانوا مدفوعين برغبة صليبية طمعا في ثروات البلد ومزاحمة الفرنسيين والانجليز،كانت الدولة العثمانية قد نال منها الضعف ونخر جسدها لهذا عمل أحمد الشريف على توحيد كل الجهود من أجل دحر شوكة الاستعمار الإيطالي، ووصلت أوامره إلى كل شيوخ الزوايا والأعيان والمريدين للحركة في منطقة طرابلس، وحثهم على القتال وأن لا يتهاونوا ولا يتخاذلوا في مقاتلة العدو والجهاد في سبيل الله، فكانت أوامره بمثابة الشرارة التي أشعلت الفتيل وشحذت النفوس وزادتهم شراسة وعزيمة وإسرار على مجابهة العدو في كل أنحاء البلاد الليبية، فهب المجاهدون في طرابلس وبرقه، وفزان وحتى من خارج الديار الليبية من نيجر وتشاد وكل أتباعه في الصحراء الكبرى عموما والتفوا حوله وحول أخوانهم المجاهدين في برقة بطرابلس، وتدفقوا كالسيل الجارف في ساحات الوغى في طرابلس، وشنوا هجمات كثيفة على الإيطاليين، وكانت علاقة أحمد الشريف بالدولة العثمانية هما قلبا أسبابا جيدة وقوية وخاصة وأنه طلب من المجاهدين الانضمام في صفوف القوات العثمانية ففي رسالة بعث بها السنوسي إلى أنوريك يظهر فيها تأييده للدولة العثمانية وشكر فيها أنوريك على جهاده ضد الإيطاليين ويعده بالنصر المبين من عند الله.

[1] سميرة بوزبوجة، الطريقة السنوسية من 1911 – 1951 م ومواقفها من قضايا العصر، محليا – إقليميا- دوليا، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2017-2018، ص110.

[2] – جلال يحي، المغرب الكبير، ج3، الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص770.

وكذلك اعترف السلطان العثماني بجهود أحمد الشريف ومعاضدته للدولة العثمانية وانضمام المجاهدين في صفوف القوات العثمانية حيث أهداه شهر مارس 1912 سيفا ونيشانا مرصعا بالجواهر تقدير له لجهوده ومؤازرته للدولة العثمانية.

وأمام إصرار أحمد الشريف على مقاومة الإيطاليين والتي حقق فيها عدة انتصارات حول الايطاليين إتباع طرقه أسهل لفشل الحركة الجهادية في مهدها وذلك من خلال التصالح مع أحمد الشريف، وإغرائه ولكن السنوسي بقي صامدا في مواقفه في مقارعة الايطاليين، فهو ينظر إليهم كأجانب محتلين لبلاده إلا أن هذا الموقف لم يمنع بعض معاونيه من التهافت على المال والذهب والإغراءات، إلا أنها أعمال معزولة وفردية، ويذكر أنوربك في مذكراته ما يلي:" ... لقد بقي النسيج السنوسي الكبير – أحمد الشريف – صادقا في أرائه حتى الساعات الأخيرة كما رفض هدايا الملك الإيطالي ومشروعا يقضي بإنشاء زاوية كبيرة في بنغازي لقد كان وما يزال رجلا ذا قلب كبير وقوي.

ومع مطلع سنة 1912م ظهرت في الأفق بعض الإشاعات التي تناهت إلى مسامع المجاهدين مفادها أن الدولة العثمانية تريد أن تعقد صلحا مع إيطاليا وأنها ستتخلى عن الليبيين لهذا زاد تخوف المجاهدين، وهذا القلق والتخوف بعث السيد أحمد الشريف السنوسي رسالة إلى أنور بك يستفسر فيها عن حقيقة هذا الأمر وعن مخاوفه وأبدى فيها موقفه في مواصلة الجهاد متى لو استحيت الدولة العثمانية وتركتهم وحدهم وقال كلمته أنصر الصلح طرفي نقيض، ولقد ذكر أنور بك موقفه من رسالة أحمد الشريف في مذكراته وذكر ترحيبه بالوفد السنوسي والذي أكد موقفه وأن هاته الإشاعات لا أساس لها من الصحة وأنه سيستمر في مواصلة محاربة الاحتلال الصليبي الإيطالي حتى يتحقق النصر، وبعد إن اطمأن أحمد الشريف من موقف أنور بك بعث له ببعض الهدايا، وامتازت العلاقات بين الطرفين بالمتانة.

2– معاهدة أوشي لوزان وانسحاب الأتراك:

لقد وجدت القوات الإيطالية صعوبة في احتلال كامل مناطق الليبية هذا نتيجة تلاحم قوات المجاهدين الذين شكلوا تحالف وقوة صعبت من مهام الايطاليين وأعاقت توغلهم وكبدت لهم خسائر فادحة فأرادت إيطاليا أن تحدث شرخا في تلك المقاومة واستمالة الأتراك والضغط عليهم من أجل ترك ليبيا وانسحابها بشكل كلي فنقلت الحرب إلى عقر دار الدولة العثمانية، وضربت مراكزها وهنا توجهت نحو الجزر ألاثني عشر المعروفة باسم

مجموعة جزر بحر أيجه الدردنيل مما أدى إلى قصفها، وبدأت هاته العمليات في أبريل 1912م، واستولت إيطاليا على تلك الجزر وساومت إيطاليا الدولة العثمانية بالتخلي عن ليبيا.

أحست الدولة العثمانية بخطورة هذا الوضع باحتلال الجزر والغربية من أراضيها والأوضاع الحرجة التي تعيشها وهذا باستقالة وزارة الاتحاديين في أواخر 1912م، لتولي الحكم وزارة أطلق عليها اسم الوزارة الكبرى، التي استلمت مقاليد الحكم في ظروف مزرية، ولهذا ما كان عليها سوى إيجاد حل يخرجها من هذا المأزق ويتوسط من الدول الأوربية قرر الاثنان الدخول في مفاوضات سرية يتم من خلالها تسوية هاته الوضعية التي تخدم الطرفين، فيتكون وفد من جمعية الإتحاد التركي برئاسة سعيد حليم باشا الذي كان يشغل رئيس مجلس الدولة في اسطنبول، أما الوفد الإيطالي فكان يتشكل من النائبين البرلمانيين برتوليني وفوسينافو، وجرت بينهما مفاوضات سرية بلوزان إلا أن قضية إلحاق طرابلس بإيطاليا كانت شكل عائقا بالنسبة للدولة العثمانية، إلا أن الحرب في البلقان جعلت الدولة العثمانية تعقد الهدنة الدائرة في طرابلس الغرب وكللت بتوقيع معاهدة الصلح في 08 أكتوبر 1912م، وحررت مواده الإحدى عشر(11) في الوزان، ولقد ضمت هاته المعاهدة مجموعة من البنود أو المواد وليمكن أن تشير إلى بعض مضامينها كما وردت في النسخة الأصلية المحفوظة في الأرشيف العثماني في اسطنبول تحت رقم 355.[1]

المادة الأولى: تعهدت الحكومتان فيها بإيقاف الحرب بينهما وإرسال مفوضين من الجانبين لتنفيذ ذلك حل توقيع هذه المعاهدة.[2]

المادة الثانية: تعهدت الحكومتان بإصدار أمر بسحب القوات الحربية والضباط من جهات القتال والدولة العثمانية تسحب قواتها من طرابلس وبرقة والحكومة الإيطالية تسحب قواتها من الجزر التي احتلتها في بحر أيجه.

المادة الثالثة: يتم تبادل أسرى الحرب بين الدولتين في أسرع وقت ممكن.

المادة الرابعة: يتعهد الحكومتان بمنح العفو شامل لكل من ساهم بأعمال عدائية أو حامت حوله الشبهات أثناء الحرب لصالح أي من الدولتين.

[1]- محمد علي الصلابي ،تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، المرجع السابق، ص 276.

[2]- سميرة بوزبوجة، المرجع السابق، ص110

المادة الخامسة: التزام الحكومتين بجميع المعاهدات والاتفاقيات التي كانت بينهما قبل الحرب والعودة لعلاقتهما إلى وضعها السابق.

المادة السادسة: تلتزم حكومة إيطاليا بما تفرضه الدولة العثمانية من زيادة في الجمارك وما تقدمه من امتيازات في إطار القانون التجاري الذي تلتزم به جميع الدول الأوربية اتجاه الدولة العثمانية.

المادة السابعة: تتعهد الحكومة الإيطالية بإلغاء مكتب البريد الإيطالية في الدولة العثمانية أذا علمت الدول الأوربية ذلك.

المادة الثامنة: تؤيد الحكومة الإيطالية الدولة العثمانية في مطالبها منها بإلغاء نظام الامتيازات واستبدلته بنظام القانون الدولي.

المادة التاسعة: استعداد الدولة العثمانية بإعادة الموظفين الإيطاليين الذين يعملون في الدولة، وفصلوا من عملهم أثناء الحرب على أن تدفع لهم رواتب الفترة التي أوقفوا فيها عن العمل.

المادة العاشرة: تتعهد الحكومة الإيطالية بدفع قسط سنوي للدولة العثمانية يعادل المبلغ المستوجب عن إيرادات الولايتين – طرابلس الغرب و بنغازي – لكل سنة من السنوات الثلاثة التي سعت الحرب والذي لا يقل عن 2 مليون ليرة إيطالية لكل سنة.

المادة الحادية عشر: تدخل هاته المعاهدة حيز التنفيذ وسريان المفعول في نفس يوم توقيعها وإثباتا لذلك وقع المفوضون ذو الصلاحية المطلقة هذه الاتفاقية، وقدموها بأمامهم[1].

وقد تم إلحاق هاته المعاهدة بأربع ملاحق وهي مكملة لها ومن أهمها المنشور الموقع من السلطان العثماني الذي يتم بموجبه منح استقلال الإداري لولايتي طرابلس وبنغازي[2].

من خلال قراءتها لمعاهدة الاستسلام أو الصلح بين الدولة العثمانية والإيطالية أن هاته الأخيرة كانت تعيش أسوء أيامها وأن الضعف قد نخر جسدها كيف لا وهي التي كانت رمز للخلافة الإسلامية.

[1]- محمد علي الصلابي (تاريخ)المرجع السابق، ص277.

[2]- انظر وثيقة أرشيفية لتوقف العمليات العسكرية العثمانية في ليبيا ملحق رقم أربعة، ص90 .

3- موقفه من انسحاب الأتراك:

بعد توقيع معاهدة الاستلام وانسحاب الأتراك انتهت الحرب التركية الإيطالية، حيث تكبدت القوات الإيطالية خسائر كبيرة حوالي عشرين ألف شخص وكلفتهم الحرب أكثر من ثمانمائة ومليون ليرة بالإضافة إلى الركود الاقتصادي والتوتر السياسي.

لقد كان موقف أحمد الشريف واضحا ولا غبار عليه، واستنكر هذا التصرف من طرف تركيا باسمه وباسم المجاهدين في برقه، ولم يقبل بالصلح، بوجه من وجوه[1].

لقد استقبل أحمد الشريف أنوربك الذي كان على متن سيارته بتاريخ 19 نوفمبر سنة 1911م وتعتبر هاته السيارة أول سيارة دخلت برقة، ووصل إلى الجغبوب في اليوم الموالي واستقبله أحمد الشريف بكل حفاوة، وأقام عنده ثلاثة أيام، وأبلغ أنوربك قرارات السلطان المتمثلة بمنح طرابلس استقلالها وحقها في تقرير مصيرها وأن تكون طرابلس الغرب تحت إمرته وأبلغه كذلك أن تركيا لن تتخلى عن ولاية طرابلس بصورة نهائية وتأسيس الحكومة السنوسية لسد فراغ الحاصل بعد انسحاب الأتراك وأصر أحمد الشريف على أنوربك على مساعدته بالعدة والعتاد[2].

لقد كان موقف الدولة العثمانية من الانسحاب من طرابلس الغرب متذبذبا حتى زيارة أنوربك، باعتبارها الدولة التي كانت مسئولة على حماية الديار الإسلامية.

فرجع أنوربك من الجغبوب وقام باجتماع مع الضباط العثمانيين وأخبرهم بقرارات السلطان المتمثل في الانسحاب من ولاية طرابلس، وأن أحمد الشريف هو الذي يسد هذا الفراغ وغادر أنوربك طرابلس الغرب إلى الإستانة للمشاركة في حرب البلقان.

بعد ذلك توجه عزيز المصري الذي تم تعيين قائد للجيش إلى الجغبوب وأمر أحمد الشريف وأتباعه بالتوجه إلى ساحات الوغى، وبعدها ترك أحمد الشريف منطقة الجغبوب متوجها نحو درنة منطقة الجبل الأخضر ووصل إلى موقع الظهر الأحمر واستقبل استقبال الأبطال وحث المجاهدين والمشايخ والموريدين بالعودة إلى مواقعهم. ,أعاد

[1]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 142.

[2]- مصطفى هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1988م، ص 41.

تنظيم الحركة الجهادية بعد انسحاب الدولة العثمانية، وطلب من كل عربي مسلم بلغ من السن 14 سنة أن يذهب إلى الميدان مزودا بمئونته وسلاحه على أن يطيعوا أنوربك بصفته نائب السلطان وقام الإيطاليون بحملة عسكرية يقدر عددها خمسة ألاف عسكري مسلح، وهذا من أجل كسر مقاومة أحمد الشريف في سيدي عزير وسيدي القرباع على ضفتي وادي درنة بتاريخ 16 ماي 1913م، وقامت معركة كبيرة عرفت باسم سيدي قرباع أول يوم الجمعة كما يسميها البعض واشترك في هاته المعركة أحمد الشريف بنفسه وهزم فيها الإيطاليون شر هزيمة وكان لهذا الانتصار أثر على الحرية الجهادية للسنوسي[1].

وفي نهاية سنة 1913م ظهرت بوادر الخلاف بين أحمد الشريف السنوسي وبين بعض الضباط الأتراك وفي مقدمتهم عزيز المصري الذي أبلغ السيد السنوسي عزمه على الرحيل عن برقه ووعده بتسليمه السلاح والذخيرة بعد أن يجتاز حدود القطر الليبي إلى الأراضي المصرية، وكان موضوع تسليم الأسلحة نقطة خلاف بين الرجلين إذ أصر السيد أحمد الشريف تسليمها منه في مواضعها على أن تضمن سلامة عزيز المصري وجنوده، إلا أن هذا الأخير رفض ذلك وتذرع بأنه لا يركن إلى القبائل البدوية ويخشى أن تهاجمه وقواته عزلاء من سلاحهم، وانتهى اللقاء دون التوصل إلى أي نتيجة ترضي الطرفين ويبدو أن أحمد الشريف كان يشك في إخلاص عزيز المصري للقضية الليبية وقد أثبتت الوثائق البريطانية التي نشرت مؤخرا صدق ما ذهب إليه إذ أبانت تلك الوثائق صلات عزيز المصري المشبوهة مع الإنجليز والايطاليين[2].

وأنه لحجته التي تذرع بها كان ينفذ وعدا بأن لا يترك السلاح العثماني بأيدي المجاهدين متجاوزا في ذلك تعليمات أنور باشا، ناظر الحربية آنذاك بضرورة مغادرة الضباط الأتراك الأراضي الليبية بأشخاصهم فقط دون سلاح اللهم إلا سلاحهم الفردي، ونتيجة لهذا الأمر لم يتردد أحمد الشريف في إصدار الأوامر بمحاصرة عزيز المصري في منطقة البطنان من أرض درنة وأوعز إلى السيد عمر المختار أن يبادر باللحاق بعزيز المصري، لعله يقنعه بتسليم الأسلحة، حيث تمكن عزيز المصري من فك الحصار بعد أن قتل حوالي أربعين مجاهدا من شيوخ القبائل وواصل انسحابه إلى السلوم وفي السلوم وقبل أن يصعد ظهر الباخرة الألمانية التي كانت بانتظاره، أحرق كافة الأسلحة التي كانت بحوزته[3].

1- محمد عيسى صالحية، صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، الحولية الأولى، 1980م، ص 10.

2- مصطفى هويدي، المرجع السابق، ص 45.

3- محمد عيسى صالحية، المرجع السابق، ص 15.

ولم يكتف عزيز المصري بفعلته ذلك فقد أشاع لدى وصوله اسطنبول، بأن السيد أحمد الشريف قد خانه وتشكر للسلطان العثماني ومساعدته، مما جعل السيد أحمد الشريف يوفد بسفيره عبد العزيز العيساوي إلى اسطنبول، لوضح الحقيقة للمسئولين العثمانيين، ولما كان أنور باشا يعرف هدف السيد أحمد الشريف، وطيب معدنه وإخلاصه للإسلام والعلاقة فقد أصدر أوامر سجن عزيز المصري، ورغم كل الظروف والصعاب التي مرت بها البلاد سنة 1912م، إلا أنها شهدت عدد من المعارك الضارية ضد الإيطاليين في معظم جهات برقة[1].

لقد خاض أتباع السنوسي الكثير من المعارك ووقفوا الند للند ضد لقوات الاحتلال الصليبي الإيطالي، إلا أنه مع بداية 1914م، وجدت قوات المجاهدين الكثير من الصعوبات والشدائد فانقطعت عليهم مصادر التموين من أسلحة وذخائر بالإضافة إلى انسحاب القوات التركية التي تركت أحمد الشريف وأتباعه يجابهون الإيطاليين لوحدهم علاوة على تحريض الإيطاليين للحكومة المصرية على قطع التموين لقوات المجاهدين وقد أشار جوليتي – رئيس الوزراء الإيطالي– أن خديوي مصر – عباس حلمي – أثناء فترة الاحتلال الإيطالي، كان موقفه مؤيد الإيطاليين بالرغم أن خديوي مصر كانت له علاقة جيدة مع الأتراك قواته يصعب التصديق بتصريح جوليتي، ولكن بالرغم من تلك النقائص المحن التي عاشها المجاهدين من نقص الدعم اللوجيستيكي والضغط الإيطالي الذي شن هجمات قوية إلا أن المجاهدين بقوا صامدين وخاضوا عدة معارك في الكثير من المناطق[2].

وكخلاصة الفصل نستنتج أن أحمد الشريف السنوسي خاص معارك ضارية مع الايطاليين ووقف الند للند في وجههم بالرغم من انسحاب الدولة العثمانية وتوقيعها معاهدة السلم مع إيطاليا التي تخلت عن ليبيا وتركت أصحاب الأرض بقيادة السنوسي ينازلون العدو بالرغم من نقص العدة والعتاد لم يدر أحمد الشريف وجهه اتجاه أبناء جلدته فنظم صفوفهم وشحذ هممهم وأقام معسكرات تدريب ورسم خطط للدفاع وحماية شعبه فحقا يمكن وصفه بأنه رجل علم وسيف وقلم فبالرغم من الإغراءات التي أعطيت له من طرف الدولة الاستعمارية الكبرى إلا أنه دافع قضية بلاده.

[1]– انظر الى الجدول يوضح أهم المعارك التي خاضها السنوسيون في برقة سنة 1912م، الملحق رقم خمسة ص 91 .

[2]– مصطفى على الهويدي، المرجع السابق، ص 47.

الفصل الثالث حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر

الفصل الثالث حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر

بينما كان أحمد الشريف السنوسي يدافع وبكل شراسة عن بلده ليبيا، ضد الاحتلال الإيطالي، حتى وجد نفسه مقحما في حرب ثالثة مع الإنجليز في مصر أملتها الطرفية المكانية الزمانية في إطار الحرب الكونية الأولى التي اتخذت من ليبيا مسرحا لأطوارها وأحداثها، واستعملت تركيا وألمانيا أحمد الشريف مطية لتحقيق أهدافها وغاياتها وتم توريطه في حرب كان في غنى عنها.

المبحث الأول: ليبيا والحرب العالمية الأولى:

1)– موقف أحمد الشريف السنوسي من الحرب العالمية الاولى:

عند قيام الحرب الكونية الأولى سنة 1914م بين ألمانيا وحليفاتها النمسا وبلغاريا وإيطاليا وما بين فرنسا وتبعتهم دول أوربا الصغيرة ما عدا سويسرا،كما ذهبت روسيا وأمريكا وكانت تركيا مترددة في الدخول مع هذا أو ذاك إلى أن دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا وحليفاتها، وفي نفس الوقت قامت إيطاليا وكانت حليفتها ألمانيا وانضمت إلى صف الحلفاء فرنسا وبريطانيا ولعل أن هناك عدة أسباب أدت بالدولة العثمانية إلى دخولها في الحرب إلى جانب ألمانيا.

- صداقة ألمانيا للدولة العثمانية ورفضها الاشتراك في حل المسألة الشرقية مع دول الوفاق الودي، حيث عملت على التقرب من الباب العالي لكسب الود والمساندة في الحرب.
- التقارب العثماني ألماني خاصة في مجال التجارة حيث كانت عدة اتفاقيات تجارية في نهاية القرن التاسع عشر والتي فتحت المجال أمام الدبلوماسية الألمانية والتغلغل في الشرق.
- إن دخول روسيا العدو التقليدي للدولة العثمانية مع بريطانيا وفرنسا أدى إلى أن تقف الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا[1].
- رأت الدولة العثمانية أن ألمانيا دولة ناشئة وقوية اقتصاديا وعسكريا فلذا سوف تكسب الحرب فمن مصلحة الدولة العثمانية مساندتها لكي تعيد أراضيها التي احتلت من قبل بريطانيا وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني عام 1882م.
- حاجة الدولة العثمانية ألمانيا إلى دعم ألمانيا للوقوف في وجه الطامعين وإلى قوة أروبية تقف إلى جواره بسبب تلك العزلة الكبرى التي حدثت له مذابح الأرمن فيما سبق.

[1]– التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876–1918)، ط1، دار الجنوب للنشر تونس، 2005، ص. ص 237، 233

- الضربات المتتالية التي تعرضت لها الدولة العثمانية من طرف فرنسا وروسيا وحلفاءها فيما يعرف بالأزمة البلقانية 1875م، والحروب الروسية العثمانية 1877م، والتي كانت ألمانيا خلالها تدعو لحل الأزمة بطريقة سلمية[1].
- التهديدات التي تعرض لها الباب العالي من قبل بريطانيا إثر رفضها تسليم المدرعتين كما بادرت بإلغاء العلاقة الدبلوماسية معه هي وحلفاءها في 02 نوفمبر 1914م وإعلان الهجوم في اليوم الموالي.
- تنافس دول الوفاق الودي على الدويلات إسلامية التابعة للدولة العثمانية في المغرب العربي وعرض الحماية والاحتلال عليها، حيث احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م وفرضت الحماية في تونس سنة 1881 وفرض الحماية على المغرب الأقصى وهذا ما دفع الدولة العثمانية تبحث عن حليفة أوربية قوية تشترك معها في الحرب واسترجاع ممتلكاتها في المغرب العربي.

ولما دخلت تركيا الحرب ضد الحلفاء الذين كانوا يتوقعون منها ذلك تكالبوا عليها وفتحوا عليها عدة جبهات، فلقد كانت روسيا تحاربهم في القفقاس وفي عموم شواطئ البحر الأوسط والانجليز في عموم شواطئ البحر الأحمر، واستطاعت بريطانيا أن تفتن أمير مكة الحسين بن علي وتحرضه على بالدولة العثمانية ولقد حدثت عدة معارك أضعفت الدولة العثمانية بسبب تلك الأمور، لقد خدعت بريطانيا الحسين بن علي وأعطته وعودا وأمالا ومنته بإقامة دولة عربية تشمل كامل جزيرة العرب، والحجاز وشرق الأردن وأطراف نجد، وبادية العراق، وسوريا وفلسطين[2]، وثاروا على تركيا فعمت البلاء ولم يكتفي الحفاء بهذا كله، فجمعوا قواتهم الجوية وأساطيلهم الحربية في البحر المتوسط وفتحوا جبهة الدردنيل وكانت هذه الجبهة هي أشد الجبهات على تركيا وأخطرها ولذلك كرست ما لديها من الجهود لدفع هذه الجبهة واستمرت معركة زهاء، ستة أشهر واستشهد خلالها ما ينوف عن مائتي ألف جندي للأتراك لكنهم دفعوا العدو إلى البحر.

بعد أن دخلت السلطة العثمانية للحرب إلى جانب ألمانيا كما قلنا سابقا وهذا نتيجة لمجموعة من الأسباب التي أملتها معطيات الزمان وتفاعله مع المكان وغذتها المصلحة والمنفعة المتبادلة بين الطرفين، لقد أرادت كلا من ألمانيا وتركيا الاستثمار في الطريقة السنوسية ممثلة في الإمام أحمد الشريف السنوسي، فلقد كان الأتراك يرون في الجزء الشرقي من ليبيا حتى أواخر 1912م فرصة مناسبة لهم ولحليفتهم ألمانيا بالرجوع إليها. العهد

[1]– عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والاسلام في القرنيين التاسع عشر والعشرون، ط1، القرات للنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2007، ص .

[2]– عبد القادر بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق، 1336هـ/1966م، ص37.

العثماني الثالث[1] والاستثمار في أناسها من أجل كسر شوكة القوة الانجليزية وهزيمتها وهذا من أجل تخليص مصر وبقية الشعوب الإسلامية الخاضعة لأعدائها ولهذا سخرت كل جهودها وقواتها وبعثت الدولة العثمانية أنور باشا إلى أحمد الشريف يبلغه أن السلطان العثماني قد قرر منحه النيابة في إفريقيا[2]، يجوله ما له من نفوذ مطلق مدنيا وعسكريا، مثل الحق في إعطاء الرتب والنياشين والعفو عن المحكومين والتولية والعزل دون الرجوع إلى الباب العالي باسطنبول، وبعد أن وصل إلى برقة الضابط العثماني أخو أنور باشا " نوري باشا" ومعه الأوسمة الرفيعة والنياشين، وقابل أحمد الشريف قرب السلوم وسلمه رسالة أخيه أنور التي كانت تحمل بين طياتها خبر إعلان الحرب، ورافقه مانسمان الألماني لتقديم الدليل الفعلي لأحمد الشريف بأن ألمانيا ملزمة بإيصال السلاح والمئونة لقوات أحمد الشريف عن طريق غواصاتها الخاصة، وكانت غاية ألمانيا وتركيا هي استمالة أحمد الشريف من أجل الاشتراك معهم في حربهم مع الإنجليز لأنهم يعملون القوة الدينية والحربية لهاته الشخصية، ولكن الأتراك والألمان كانوا جد مستاءين من العلاقة الجد طيبة التي كانت تربط أحمد الشريف السنوسي مع الانجليز، فقد سمحوا له ولليبيين أن يبيعوا أغنامهم وخيولهم وحبوبهم والغنائم في السلوم الحدود مع مصر، وكذلك تعهد الانجليز بصنع الملابس للجيش الوطني آنذاك وكذلك كانت بريطانيا تتغاضى عن شحنات الأسلحة التي كانت تصل إلى مرسى البردية بالغواصات التركية والألمانية، وقابله كذلك حياد تام إزاء الاحتلال الإيطالي لليبيا على المستوى الدولي، وكان السنوسي يبادل الإنجليز نفس التقدير والاحترام[3].

لقد كانت علاقة السلطات الإنجليزية مع السنوسي علاقة ودية وكانت مواقفها مقبولة وهذا ما عبرت عنه الحكومة الإنجليزية من خلال الرسائل المتبادلة بين الطرفين خاصة من رويل وجون ماكسويل أثناء عملهما[4] كمحافظين لمطروح وسار مكمهون على نفس سابقيه فقد أرسل قس 15 جانفي 1915م رسالة إلى السيد أحمد الشريف السنوسي والتي جاء فيها :"... قطب دائرة أهل الفضل والكمال وخلاصة أرباب الحجي والكلام، إمام المصلحين وقدوة المرشدين الأستاذ الأعظم والملاذ الفخم السيد أحمد الشريف السنوسي أعزه الله .

سلام الله الأنسى وتحياته المباركة الحسنى تخص مقام السيادة، وبعد فإني بحمد الله ومعونته وصلت إلى مصر نائبا عن جلالة الملك جورج الخامس، ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند الذي أعلن حمايته على هذا

---

[1]- أمل عجيل، قصة وتاريخ الحضارة العربية – ليبيا- السودان – المغرب، بيروت سنة 1999، ص 22.

[2]- انظر صورة أحمد الشريف بعد تعيينه نائب السلطان في شمال إفريقيا، الملحق رقم ستة ، ص 92.

[3]- محمد عيسى صالحية، المرجع السابق، ص 13.

القطر السعيد لتحتفظ سلطته من اعتداء المعتدين ويرقى به وبأهله معارج التقدم والفلاح ولما كانت علاقة حكومته هذا القطر على الدوام ودية مع سيادتكم، رأيت أن أبلغكم وصولي وأذكركم أن العلاقات الوثيقة التي كانت لكم ولأسلافكم الكرام مع الحكومة المصرية ستستمر في هذا العهد الجديد كما كانت عليه من قبل الود والسلام ..."

وكتب كذلك أحمد الشريف رسالة بخط يده بعث بها إلى مريديه يعبر فيها عن عمق العلاقة التي تربطه بالإنجليز ومعرضا في نفس الوقت :" ... وما أعظم الفرق بينه وبين الإنجليز فإنهم مجارون لزوايانا في القطر المصري ولم تبدر منهم أقل إهانة لها ولإخواننا بل هم يحترمون محلاتنا بمصر ومحلنا في كنو فسأل الله تعالى أن يغدق في قلوبهم إكرام الإسلام ومحبه أهله..." [1]

لقد كان أحمد الشريف غير متحمس لخوض غمار هاته الحرب بالرغم من إلحاح الضباط الأتراك وعلى رأسهم أنور باشا والذي كتب عدة رسائل يبلغه فيها عن فائدة الصدام مع الإنجليز ولكن رد أحمد الشريف كان مضمونها:" ... حرب يأتيك يقصد بها حرب الطليان وحرب تأتيه ويقصد الإنجليز ..."، لقد كانت علاقة أحمد الشريف مع الضباط الأتراك مبنية على المدر والجزر خاصة (1915م-1917م) فأحمد الشريف الرجل الصلب القوي الإيمان لقضيته وعقيدته لم يكن مستعد لخوض غمار هاته الحرب وإنها خارجة عن مجال تفكيره بعدة أسباب:

1- العلاقة بين أحمد الشريف والإنجليز كانت جد سحنة وكان الإنجليز يقدمون الدعم العسكري والمالي.
2- إن بريطانيا كانت تسمح للمصريين المتقاطعين مع القضية الليبية ومع حركة أحمد الشريف ضد الإيطاليين.
3- أن السواحل المصرية الغربية حتى حدود برقة كانت موانئ للمعونات الألمانية والتركية التي تصل إليه لمجابهة القوات الإيطالية.
4- أحمد الشريف كان مدركا بعدم جدوى فتح جبهة ثالثة وهو الأمر الذي كان في غنى عنه.
5- أن الواحات المصرية كانت تشكل نقاطا حيوية للاتصال بالسودان والحجاز ومن ثمة بقية البلدان العربية والإسلامية[2].

[1]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 50.

[2]- أنور باشا مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تق. عبد الله المولى صالح الحرير مراجعة وداعة الحسناوي، طرابلس1997، ص23.

وعلى الرغم من احترام أحمد الشريف للسلطان العثماني كخليفة للمسلمين، واتفاقه في المرسوم الذي أصدره في سنة 1914م والقاضي بدعوة المسلمين كافة إلى إعلان الجهاد ضد الكفار وهو الأمر الذي قبله أحمد الشريف لأنه عمليا كان في جهاد مستمر منذ سنة 1902م، إلا أنه لم يجد تفسيرا لاستثناء الألمان من قائمة الكفار، بالإضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد التي شهدت قحطا ومجاعة لمدة ثلاث سنوات متتالية من سنة 1912 إلى غاية 1915م، وانتشار الأوبئة مثل الكوليرا، لقد كان أحمد الشريف بدراية تامة بالمخاطر التي قد تنجم عن فتح جبهة ثالثة لنفسه مع الإنجليز في الصحراء الغربية[1].

لقد استمر الضباط الأتراك في استمالة السنوسي من أجل إقناعه بالدخول في الحرب إلى جانبها، وخاصة أنها وضعت خطة لتنفيذ مخططها وهي أن ترسل حملة عسكرية ضد الإنجليز من الشام عبر سيناء لطرد الإنجليز من مصر بقيادة جمال باشا وأن يهاجم أحمد الشريف السنوسي مصر من جبهة الغرب لتخفيف الضغط على جمال باشا [2]، كما يقوم في الوقت نفسه على دينار بثورة على الإنجليز في دارفور بغرب السودان، لكن كل محاولات الأتراك باءت بالفشل ولهذا غير هؤلاء الضباط من لهجتهم اتجاه أحمد الشريف واستعملوا كل الطرق من أجل توريطه.

2/ دور الضباط الأتراك في إقحام أحمد الشريف في الحرب ضد الإنجليز:

أن منظمة تشكيلات مخصوصة وهي تابعة للمخابرات العسكرية العثمانية يعرفها البعض :" أنها منظمة عثمانية سرية غامضة مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية العثمانية ومكافحة التجسس الأجنبي عليها وكان معظم المنتسبين لهم الصفة العسكرية " . وكانت مهمة هاته المنظمة أن تجعل أحمد الشريف أداة طيبة تستغلها حسب ما تمليها مصالحها ومصالح الدولة العثمانية،وليس حسب ما تقتضيه مصالح ليبيا والمتمثلة في تحريرها من الاستعمار الإيطالي وكانت الحكومة العثمانية قد راسلت بعض أنصارها الذين هم من ولاية طرابلس الغرب والذين كانوا قد هاجروا إلى تركيا بعد فشل المجاهدين في معركة جندومة سنة 1913م، وكان من هؤلاء سليمان الباروني عضو مجلس المبعوثان وزعيم الجهاد في منطقة طرابلس في الفترة الأولى1913 وكان هذا الأخير عثماني الميول، وكان على علم بمخطط التركي لغزو مصر وإعداد حملتين لها شرقية وغربية وإخراج الإنجليز[3]،

[1]- أنور باشا، المصدر السابق، ص24

[2]- محمد السعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، ط1، الدار العربية للموسوعات، سنة 2008، ص 124 .

[3]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق،ص295

وبعدها تحرير طرابلس، ولقد عزمت المنمة وسخرت كل جهودها من أجل الزج بقوات أحمد الشريف في حرب لم يكن متحمس لها وخاصة أن الظرفية المكانية ولا الزمنية تسمح بذلك، واتجهت بين الضباط العثمانيين من أجل الخلاص من أحمد الشريف وهذا بإعداد انقلاب ضده وتفجير خيمته[1].

ووضع بديل عن أحمد الشريف ويكون من العائلة السنوسية ويتماشى مع مخططهم وتم بالفعل الإعداد لهاته المؤامرة إلا أنه تم اكتشافها وتم إلقاء القبض عن سليمان الباروني وشقيق أحمد الشريف محمد هلال السنوسي[2]، وبعض الضباط . كما أمر البقية أن يسافروا إلى بلادهم بسرعة للانضمام إلى الشيخ محمد سوف، وقام أحمد الشريف بإنذار كل من يخالف أوامره بالإعدام، فنفذت كاملة وهدأت الحالة وكان ذلك في شهر فيفري 1915م، وأرسل المتهمون إلى الجغبوب وحقق معهم، ولقد كان لهذا الموقف أثارا إيجابية على الإنجليز في مصر، وشكروا السماء على اكتشاف هذه المؤامرة وسلامة أحمد الشريف ونمو العلاقات بين الطرفين. فالبريطانيون كانوا حريصين على تمتين العلاقة أكثر من وقت مضى.

ووصل الأمر بأن اتهم أحمد الشريف بأنه يحالف للإنجليز سرا وفي مقابلة مع أحمد الشريف قام بها الضابط المصري محمد صالح حرب قبل نشوب واندلا ع الحرب مع الانجليز، وسأل هذا الأخير عن حقيقة موقفه فأجابه: " إن الأتراك إنما يوريدون أن يورطوه في حرب مع الإنجليز قبل أن يستعد لها، وأنه لا يمالي الإنجليز محبة فيهم أو تقربا منهم، ولكن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي تأتيه منه الأرزاق التي يستطيع بسببها متابعة القتال ضد الطليان فإذا قفل هذا الباب تحرج منه وأنه لم يستدعي الأتراك إلى ليبيا إلا ليجلبوا معهم الإمدادات الكافية أو أرزاق أو مال ... وأنا ليس في نيتي أن أحارب الإنجليز[3].

وتوالت الأحداث واستمر ضباط منظمة تشكيلاتي مخصوصة في تنفيذ مخططها، وهي إيجاد طريقة لكي يقحموا أحمد الشريف السنوسي في هاته الحرب، وهذا بعد أن انقطعت أمامهم كل السبل نظرا لموقف أحمد الشريف الذي كان رافضا جملة وتفصيلا لهاته الحرب، ولقد اعترف نوري باشا بأنه صار مرغما بسبب سكوت السيد أحمد لشريف، وقام بتدبير مخطط لتوتير العلاقات بين الإنجليز وأحمد الشريف السنوسي، وقام يرسم خطة محكمة أوحى بها إلى السيد أحمد تتمثل في أن الضابط الإنجليزي رويا بيك مساعد والذي كان يتقلد مفتش الحدود الغربية يأتي ليلا ليلبس زي السنوسي ويقوم بالتجسس على المعسكرات في تلك المنطقة، ولهذا وجب

[1]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق،ص296

[2]- مصطفى هويدي، مرجع سابق، ص 50.

[3]- محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق، ص167.

القضاء عليه وتعتبر هاته خطة ممنهجة من طرف الأتراك لتعكير العلاقات بين الإنجليز وأحمد الشريف السنوسي، ولم تكتفي منظمة تشكيلات مخصوصة بهذا، بل أنهم هاجموا المراكز البريطانية وزوروا أوامر أحمد الشريف إلى ضباط العرب وعساكرهم ووقع ما وقع، وأرسل كذلك الأتراك سعادة إلى مصر يقولون: أن أحمد الشريف يأتي الزحف إلى مصر مدرار للإنجليز مع أنه حضر من الاستانة لأجل إعداد حملة على مصر بإنقاذها من أيدي الإنجليز، وكان ردت فعل الإنجليز أنهم بعثوا برسل إلى أحمد الشريف وهذا من أجل معاقبته على هذا الموقف[1].

وقد تم تكليف الجنرال ماكسويل رئيس الوفد أن يبلغ أحمد الشريف باسم حكومته بأنها إذا انتهت الحرب الكونية الأولى ولم يشترك فيها أحمد الشريف وحافظ على الحياد فإن السلطات الانجليزية تمد له يد العون في الحصول على استقلال بلاده، ويصبح أعظم شخصية عربية في البلاد العربية مرجعا لأمراء العرب وكبرائهم[2].

لقد واصلت منظمة تشكيلات مخصوصة لإشعال نار الحرب على الحدود واستطاعوا استمالة بعض العناصر بالوعود والأموال ومن بين هؤلاء الذين تأثروا بدعاية الأتراك أحمد المختار الطرابلسي وأبو القاسم وآخرون، فلقد قام هؤلاء الضباط بمهاجمة القوات الإنجليزية قرب منطقة السلوم[3]، ولم يكن أحمد الشريف السنوسي يعلم بالأمر وعندما علم بالأمر تأثر تأثرا كبير وحاول ترميم وإصلاح الموقف ولكن ألأمور أنقلت من بين يديه، فوجد نفسه هادفا لهجوم مشاد من قبل الإنجليز، وهنا وجد نفسه أمام حتمية الدخول في هاته الحرب التي ورط فيها من طرف الضباط الأتراك.

لقد وجد أحمد الشريف السنوسي أمام موقف محرج للغاية فكل موقف أصعب من الآخر

1- أن وجود بريطانيا للسيد أحمد بالتنازل عن بعض الواحات هي وعود شفوية أو كتابية فقط ولن نرى النور ولن نخرج إلى حيز التطبيق العملي مطلقا وهذه هي عادة بريطانيا التي كانت تطلق وعود غامضة ومتناقضة تصدر تحت ضغط الحرب، ولا ننسى أن موقفها منذ بداية الحرب 1911م كان مؤيدا للإيطاليين وهذا من خلال اتفاقية سرية.

[1]- شكري، المرجع سابق، ص 165.

[2]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 65.

[3]- انظر خريطة للحدود المصرية الليبية أثناء الحرب العالمية الأولى، الملحق السابع، ص 93.

2- من الناحية الأخرى كان السيد أحمد مدينا بالولاء الودي والجميل للأتراك فهم الدين قاتلوا وجاهدوا مع الليبيين في برقة وطرابلس وله ارتباطات متينة مع كبار والضباط الأتراك وفي مقدمتهم أنور باشا وكذلك أن الأتراك عينوا أحمد الشريف نائبا للسلطان العثماني في شمال إفريقيا[1].

3- أن تركيا هي دولة مسلحة وهي تمثل الخلافة الإسلامية هما أن شخصية أحمد الشريف كونها الإسلامي.

4- لقد التقت مصلحة السيد أحمد ومصلحة الأتراك والألمان في شي واحد يتفقون جميعا من فعله والقيام به وهو محاربة الإيطاليين لأنهم كانت إيطاليا بالنسبة لهم عدو مشترك.

5- أن وعود الأتراك وكبار الضباط للسيد أحمد الشريف بتزويده بالسلاح والعتاد والمال وكل مستلزمات الحرب كانت وعودا صادقة في البداية وكان في تصور السيد أحمد الشريف أن ذلك العون لن ينقطع حتى تتحرر الوطن خصوصا أنهم بعثوا له بعض العون عن طريق الغواصات الألمانية قبل إبلاغه الحرب ضد الانجليز في مصر.

6- أن قوة الألمان العسكرية وانتصاراتهم الباهرة مع بداية الحرب العالمية الأولى اقتنعت بصورة أو بأخرى السيد أحمد بقوة ألمانيا العسكرية وبأنها ستحقق النصر النهائي فعلى قوات الحلفاء (فرنسا، بريطانيا، إيطاليا) [2].

وتسارعت الأحداث وتلاحقت في المنطقة الحدودية الليبية المصرية، فلم يستطيع أحمد الشريف دحر هذا الانحراف وأصبح مجبرا لا مخير وأصبح أمر الآمر الواقع وفلتت الأمور من بين يديه ولكن الإنجليز أرادوا أن يسابقوا الزمن وتدارك الأمر واستمالة أحمد الشريف بطرقها الدبلوماسية في الوقت الذي كانت فيه الحرب الكونية الأولى في أشدها[3]، قام الإنجليز بالاتصال حسين كامل سلطان مصر وأخبروه عن الأحداث التي جرت في الحدود وكلفوه بأن يتوسط بينهم وبين أحمد الشريف السنوسي. وأن يلتزم الحياد وتحذيره في الإنصياغ إلى الأتراك والألمان: فأرسل السلطان حسين كامل وفدا برئاسة محمد الشريف الإدريسي نجل عبد المتعال بن أحمد بن إدريس، وكانت معهم رسائل من السلطان حسين كامل، وكذلك من السير ما كمهون نائب ملك الإنجليز في مصر وكذلك الجنرال

[1]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق، ص ص، 290، 291.

[2]- نفسه، ص 292.

[3]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق، ص 293.

ماكسويل قائد جيش الاحتلال البريطاني[1] في مصر، وكانت كل هاته الرسائل تحمل في مضمونها تحذير أحمد الشريف من المشاركة في هاته الحرب وأن يلتزم الحياد.

نص الرسالة التي بعثها الجنرال السير مكاسويل القائد العام لجنود جلالة الملك بريطانيا العظمى: مصر في 31ديسمبر 1915م محرم سنة 1334هـ.

"... حضرة الأستاذ اعظم السيد أحمد الشريف السنوسي الخطابي الإدريسي الحسيني دام وجوده الكريم تحية وسلاما وبعد، فقد أدهشني ما وجدته بعد عودتي إلى مصر زيارة الجيوش المتحالفة في غليبولي، إن العلاقات بيننا قد حدث فيها تغيير، وإن إتباع سيادتكم قد ارتكبوا أعمالا عدائية ضد الحكومة المصرية.

وقد سمعت بارتياح أنكم أرسلتم كبيرا من مستشاريكم إلى البراني ليسعى في إرجاع بعض أتباعكم الذين عصو أوامركم، ولكني تعجبت إذ سمعت أن هؤلاء الأتباع قد تمادوا في العصيان حتى أنهم لم يطيعوا الأوامر فقط بل أطلقوا فعلا على جعفر أفندي. هذا وقد بلغني أيضا ما أهمني وهو أن سبعين رجلا من رعايا الدولة الذين نجوا من مركب غرفته العدو قد حجزوا غرب حدودنا ... إنكم تعلمون أن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية عملتا سيادتكم بكل اهتمام واحترام، وأما الآن فقد اضطررت بسبب المقاصد السيئة التي تحيط سيادتكم أن أستدعي رجالي من نقطة السلوم واتخذ لكم مركزا في مرسى مطروح وعليكم الآن أن تبينوا بأعمالكم وأعمال أتباعكم إذا كنتم تحبون بقاء العلائق الودية أو لا..." [2]

ومن الآن وصاعدا كل رجل من أتباعكم يتحدى الحدود حاملا سلاحه أضطر أن أعده كمن له مقاصد عدائية وأعماله، كذلك لقد سألتكم أن تظهروا مقاصدكم الودية بإبعاد الأشخاص الذين معكم الآن المعروفين بعدوانهم لنا ..."

وعلى الرغم من كل هاته الظروف فإن أحمد الشريف في الاشتراك في هاته الحرب ضد الإنجليز في مصر، كان قرارا ارتجاليا بالرغم من الغموض الذي انتاب أحمد الشريف في رغبته في هاته الحرب والتي رفضها جملة وتفصيلا في البداية لأنه كان متيقن أن هاته الحرب بالنسبة له فهي عملية انتحارية وهذا نظرا للظروف التي كان يمر بها ولكن جاهزا عدة وعتادا بالإضافة أنه كان متيقنا أن هذا الهجوم لم يتماشى مع هدفه ومصلحة بلاده إلا أن

[1]- أمحمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص 165.

[2]- لوتروب ستودارد،حاضر العالم الإسلامي تر عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، ط3، ج2، دار الفكر مج الأول بيروت، 1973، ص ص، 32-34.

الأتراك والألمان،كانت لهم نظرة أخرى لهاته الحرب والتي استعملت فيها طرابلس كجبهة فرعية لتنفيذ مخططها البراغماني واستعمل أحمد شريف وسيلة لتحقيق غايتها وهدفها المنشود، إلا أننا نتساءل عن كيف لشخصية مرموقة ومحنكة سياسيا وعسكريا مثل أحمد الشريف إن ينساق في الحرب، وكان لا بد عليه أن يتعاون مع الأتراك والألمان ضد إيطاليا لتحرير بلاده أو لا. [1]

المبحث الثاني: حملة أحمد الشريف السنوسي ضد الإنجليز:

1/ إقحام أحمد الشريف في الحرب:

ومهما كان الأمر فإن الظرفية المكانية والزمانية فعلت فعلتها فقد دخل أو بالأحرى أقحم أحمد الشريف في هاته الحرب وسار بقواته والذي كان قوامه حوالي أربعة آلاف مسلح، واندلعت داخل الحدود المصرية[2]، وكان برفقته نوري باشا قائدا أولا وجعفر لعسكري قائد ثانيا وكان هدفهم الهجوم على السلوم، كما جهز الإنجليز جيشا بلغ تعداده ثلاثين ألفا من مشاة وفرسان وقامت الحرب بالفعل في نوفمبر 1915م، وأخذت الفرقة العسكرية النظامية والمتطوعة تتقدم إلى الأراضي المصرية كالسيل الجارف، وبدأت القيادة في إعلان وجوب إشراك رجال القبائل المصريين في الحرب ضد الإنجليز المحتلين لمصر والوقوف بجانب الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية[3].

ولقد كان الضابط المصري محمد صالح حرب تابعا للقوات الإنجليزية، فجمع الرؤساء والمشايخ وخاطبهم قائلا:" نقف اليوم معسكرين: الإنجليز أعداء الله والوطن الذين رفعوا علينا الحماية والآخر معسكر الغرب والأتراك الذين يقولون إنهم جاؤوا ليخلصونا وقد أقنعني ضميري وواجبي الديني بعدم البقاء مع الإنجليز وقد خرجت في سبيل الجهاد ضدهم فمن كان يحرص على حياته أو تلزمه أية مسئولية عائلية بالعودة إلى مرسى مطروح فإني لا أقول بينه وبين العودة، إنما شريطة أن يترك ما معه من صلاح ومئونة " .

وأمام هذا الخطاب من طرف الضابط المصري فإن المتطوعين المصريين لم يرغبوا في العودة وهموا جميعا على البقاء إلى جانب قائدهم وقطعوا الوعد على الجهاد.

---

[1]- عيسى صالحية، المرجع السابق ، ص 15.

[2]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 60.

[3]- محمود فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 173.

وبدأ هجوم الأتراك والمجاهدين على قوات الإنجليزية عند حدود مصر ودارت بينهم عدة معارك ضارية وأشهرها معركة وادي ماجد في أواخر ديسمبر عام 1915م، التي انتقل إليها المجاهدون ونظموا أنفسهم وبنو خيامهم ومكثوا هناك قرابة الأسبوع، وتقدمت إليهم القوات الإنجليزية في محاولة لمحاصرتهم، إلا أنهم انسحبوا إلى الغرب، وقام الإنجليز برسم خطة حربية للهجوم عليهم، بحيث تقدمت عربات الإنجليز قرب شاطئ البحر باتجاه الغرب وتقدمت قوة الفرسان الإنجليزية من الجهة الجنوبية البعيدة وتقدمت قوة أخرى من المشاة الإنجليزية بين القوتين.

أي في منطقة الوسط في مواجهة المجاهدين وكان هدف الإنجليز هو محاصرة المجاهدين وكانت هاته المعركة قوية استمرت من الصباح إلى المساء وأبان فيها قوات المجاهدين قوة وشراسة، ونزل الإنجليز إلى عمق الوادي (ماجد) أما المجاهدون فإنهم اتجهوا إلى شعاب الوادي وتحصنوا بها وتبادلوا إطلاق النار واستعمل الإنجليز المدافع بينما قوات المجاهدين كانت أسلحتهم حقيقة وكان لعدم هذا التكافؤ في القوة أكثر كبير في سيد المعركة وتداعياتها وكبدت هاته المعركة خسائر لكلا الطرفين وتراوحت تقديرات عدد الشهداء بين المائة والخمسين والثلاثمائة مجاهد.[1]

وكذلك دارت معركة أخرى ضد العدو وهي معركة بئر تونس والتي قال فيها ضابط بريطاني:"... لقد قام العدو بعزم شديد ومقاومة عنيفة ودام القتال أربع ساعات تحت نيران البنادق التي كان العدو يستخدمها بنجاح ودقة بقيادة ضباط أتراك وألمان وعلى حين كنا نحاول بشق الأنفس أن نصمد دبت الفوضى في صف الفرسان على المسيرة عندما قويت شوكة العرب الذين كانوا يجابهون هذا الجانب من صف الفرسان[2].

إن معركة بئر تونس من أهم المعارك التي خاضتها قوات المجاهدين ضد الإنجليز وبر تونس هو بئر مائي يقع إلى الغرب من بئر ماجد[3]. وانسحبت قوات المجاهدين إلى هذا البئر بعد معركة بئر ماجد على أمل أن يجدوا فيه الماء لكنهم لم يجدوا الماء ولكن الأمطار هطلت عن طريق الصدفة فأخذوا حاجتهم، ولكن الإنجليز أرادوا أن يقضوا على قوات المجاهدين ووضعوا خطة لذلك والتي تتمثل في إعداد قوة إنجليزية كبيرة قدرت بثلاث عشر ألف مقاتل مدججين بمختلف الأسلحة المتطورة وكان هدف هاته القوة محاصرة المجاهدين والقضاء عليهم وكسر شوكتهم، إلا أن مشيئة الله أفسدت خطتهم وهي أن سقوط الأمطار عطلت معظم سياراتهم المدرعة وشلت عن السير وبعد توقف المطر هاجم الإنجليز قوات المجاهدين، حيث نشبت معركة عنيفة ولقد كانت خطة المجاهدين

[1]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 61.

[2]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق، ص 292.

[3]- انظر .خريطة للحدود المصرية الليبية اثناء الحرب العالمية لاولى الملحق رقم 06،ص 92.

التي رسمها نوري باشا تتمثل في مواجهة القوات الإنجليزية بفيلق الهجانة المصري وأشترك أحمد الشريف بنفسه في هاته المعركة، وأبلى المجاهدون بلاء حسننا، إلا أن نقص الذخيرة اضطرهم على الانسحاب واكتفى نوري باشا باتخاذ موقف دفاعي الذي كلف البريطانيون خسائر حوالي الألف رجل وتم نقل أربعمائة وخمسين جريحا[1].

ولقد نفذ نوري باشا فعلا ولو لوقت غير طويل خطته تلك ورأى الاستمرار في هجومه ليلا لتضليل الإنجليز عن حالة قواته كما وكيفا إلا أن بعض الضباط الذين معه لم يوافقوه على ذلك لظروف ضعف قواتهم العسكرية الصعبة.

وكذلك وقعت معركة العقاقير وهي اسم لمنطقة ساحلية قريبة من البحر تقع جنوب شرق سيدي براني على بعد أربعة عشر كيلومتر وإلى الغرب من بئر بر تونس وتسمى كذلك باسم عقاقير أبوحريرة، ولقد كانت القوات الانجليزية ترابط في مرسى مطروح وعلى طول الطريق بين مرسى مطروح والإسكندرية، أما قوات نوري باشا فإنها انسحبت جهة العقاقير وتحصنت بالكثبان الرملية، واتخذت منها حصون لها لأن قوات الإنجليزية لا تستطيع الحركة هذه الكثبان الرملية. لقد هاجم العدو بحشود متراصة قدرت بحوالي ألفين فارس وكانت قوات المشاة تطلق النار على المشاة الإنجليز . وفي نفس الوقت إرسال فرسانهم من جهة اليمين أي بين البحر وميمنة المجاهدين واستمالتهم من ذلك الطريق حتى يتجاوزوا كثبان الرمل المنتشرة هناك، بحيث تصبح الأرض سهلة حيث يتخذون من كثبان مخبأ لهم ويمكثوا وراءه إلى أن تتخلص قوافل المجاهدين والجنود الهاربين من منقطة الكثبان الرملية وتصبح قوافلهم مكشوفة على الأرض سهلة لتتحرك فرسان الإنجليز للإغارة عليها وفي المقابل فإن نوري باشا سحب قوة من المشاة وجعلها احتياطيا في يده وحمى بها الميسرة. وأعد مكامن ثلاثة في كل كمين مدفع رشاش وأشرف بنفسه عند الانسحاب. لقد كانت معركة العقاقير تمثل نتيجة حملة السيد أحمد الشريف مع مصر، إذ أن نجاح المجاهدين في تحقيق نصر على الإنجليز أمل خاب الظن فيه وجاءت النتائج معكوسة فبدل تصريحات الهزيمة الكبرى وسقطت أعداد كبيرة في هذه المعركة[2].

واستمرت القوات الإنجليزية تطارد فلول المجاهدين فوقعت معركة ...بقيق شرق السلوم وانتصر فيها الإنجليز، الذين احنوا بعد ذلك معركة السلوم، ودخل الإنجليز الأراضي الليبية ووصلوا بئر حكيم في جنوب غرب طبرق واستطاعة تخليص الأسرى الإنجليز وكان عددهم 92 بحارا بعد أن أبادوا قوات الحراسة، أما قوات المجاهدين

[1]- مصطفى الهويدي ، المرجع السابق، ص 57.

[2]- نفسه، ص 82.

في الجنوب فكان يقودها اللواء محمد صالح حرب تحت إمرة وإشراف أحمد الشريف السنوسي رجعت هاته القوات جنوبا وتمكنت من اختلال الواحات البحرية والفرافرة والدخلة وانظم إليها كل من كان بهذه الواحات من الموظفين المصريين، وكذلك الضباط والجنود واتصل محمد صالح حرب بشيوخ العرب في المينا واسيوط والفيوم ولم تعطي هذه الاتصالات نتائج مشجعة وبدأت قوات الإنجليز تتزايد بعد أن صدت الحملة العثمانية الشرقية على قناة السويس وفشلت ثورة السلطان على دينار في منطقة دارفور مما أضطر المجاهدون للانسحاب من الواحات الداخلة إلى الغرب جنوب سيوة والجعبوب[1].

2- فشل حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز:

لقد كان المجاهدون يعوزهم وينقضهم الدواء واللباس والذخيرة والسلاح، كذلك فشلت جل المعارك تباعا، مما جعل المجاهدون ينسحبون مجبرين لا مخيرين وأمام كل هاته الظروف الصعبة اضطروا إلى التقهقر وعندئذ بدأ الخلاف يظهر للعيان بين أحمد الشريف والضباط الأتراك فعقد هذا الأخير، مجلسا حربيا دعي إليه الضباط الأتراك وعلى رأسهم نوري باشا وجعفر العسكري وحضره صالح حرب نائبا عن الضباط المصريين وثلاثة من مشايخ السنوسية وترأس هذا الاجتماع أحمد نفسه لبحث الموقف وكان أحمد في غضب ظاهر ولام الضباط الأتراك الذين تسرعوا في بدأ هذه العمليات العسكرية على الرغم من عدم استكمال الاستعدادات اللازمة لهذه الحرب،[2] وقال أحمد الشريف في حديثه لنوري وجعفر :" لقد أقفلتم فمن أين نتنفس" وختم أحمد الشريف حديثه مخاطبا نوري وجعفر :" فما رأيكم وقد أوصلتموها إلى هذا الحال ... وظهر إني كنت على هدى وكنتم على ظلال[3].

وتناول الحديث نوري باشا وجعفر العسكري وكان رأيهما وبإصرار مسبق أن يستمر في محاربة الانجليز من الجهة الشمالية ويشنوا حرب العصابات في شكل هجمات عديدة ومتفرقة على المدن المصرية القريبة مثل الإسكندرية والبحيرة وغيرها، وتناول الحديث محمد صالح حرب الذي انتقد الخطة الإستراتيجية العامة للضباط الأتراك وكان رأيه مناقضا لما ذكره نوري وجعفر، وذلك أن التقدم من جهة الساحل قرب البحر وعلى أرض تكاد تكون مكشوفة بالكامل يمكن حسب رأيه القوات الإنجليزية من القضاء على قوات المجاهدين، وتسليط نيرانهم المختلفة عليهم هذا إضافة إلى الأراضي الساحلية متماسكة وتساعد الانجليز في أن يستخدموا عرباتهم وسياراتهم

[1]- مصطفى الهويدي،المرجع السابق، ص 83.

[2]- أرسلان، خلاصة رحلة أحمد الشريف السنوسي، ط1، الدار التقدمية المختار شرق ليبيا، 2010، ص 11.

[3]- مصطفى الهويدي، مرجع سابق، ص 78.

وتنقلاتهم بسهولة، وكذلك نشوب المعارك قرب البحر يمكن الإنجليز من استغلال البحر سفنهم الحربية المزودة بالمدافع أو بنجدة سريعة للقوات الإنجليزية أذا ما حقق المجاهدون انتصارا عليها[1].

وبناءا على ذلك فقد كان رأي الضابط المصري محمد حرب هو أن ينتقل المجاهدون إلى الجهات الجنوبية لإمكانية احتلال الواحات المصرية الواحدة بعد الأخرى والاتصال بالمشايخ العرب وأهالي الصيد في المدن والقرى، حتى يهب الجميع في ثورة عاصفة ضد الحكم البريطاني في مصر، ويتعاونوا مع قوات المجاهدين الزاحفة شرقا، هذا إضافة إلى أن الواحات في حد ذاتها أماكن تصليح لتموين القوات الزاحفة بما يلزمها من غذاء وماء. وإن انتشارها في صحراء مصر الغربية يجبر بريطانيا على نشر قواتها على طول وادي النيل وبشكل يستهلك جزءا من هذه القوات[2].

لقد رأى أحمد الشريف في قراره في الاجتماع الذي ترأسه بأن تقسيم قواته إلى قسمين والجبهة ألأولى المجموعة الأولى نظم 3500 مقابل وهي بقيادة محمد صالح حرب إلى الجنوب إلى واحة (سيوة) وانظم إليها أحمد الشريف نفسه أما المجموعة الثانية تقدر بحوالي ستة آلاف بقيادة نوري وجعفر العسكري فبقيت شمالي البلاد وتمركزت في واحة بير الكلاب[3]. وانتهى هذا الاجتماع بهاته القرارات، ومن خلال هذا الاجتماع اتضحت بعض الأمور الهامة وفي مقدمتها ما يلي:

1- سيطرة أحمد الشريف الكاملة على جميع القوات الزاحفة ضد الإنجليز عبر حدود مصر الغربية.
2- خطأ القادة الأتراك سواء في عدم الاستعداد لهاته الحملة العسكرية وحاليا وبشريا أو في رسم الخطط الحربية ووضع إستراتيجية هامة وتنسيق كامل لتحطيم النفوذ الإنجليزي في مصر.
3- إن وعود الأتراك لأحمد الشريف بأن المدد متواصل ومستمر ولن ينقطع ولن يكون هناك نقص في السلاح والذخيرة والعتاد والمئونة والأموال واللباس والدواء وكانت وعودهم وعودا غير جادة ولم ينفذ منه شيء بل كان نوعا من الدعاية لخدمة مصلحة الأتراك وأعوانهم.
4- اتضح جليا أن ليس بمقدور المجاهدين هزيمة الإنجليز والانتصار عليهم في الإمكانيات والقدرات والمتباينة.

[1]- مصطفى الهويدي، مرجع سابق، ص 81.
[2]- نفسه، ص 82.
[3]- بروشين نيكولاي إيلتش، (تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر) المرجع السابق، ص174.

5- اتضح الآن أن برقة يهددها شبح المجاعة ذلك أن جميع الطرق التجارية وأقفلت مع الإنجليز شرقا والفرنسيين جنوبا والإيطاليين شمالا.

6- إن الحال الذي عليه المجاهدون يبدو من خلال ما دار في هذا الاجتماع متسما بالصعوبة الضيق.

7- صواب رأي أحمد الشريف في عدم الرغبة في الدخول في الحرب مع الإنجليز[1].

دخلت القوات الشمالية بقيادة نوري باشا في معارك ضارية مع القوات الانجليزية في معركة وادي مقتلة، حيث كان البريطانية يعسكرون عند وادي مقتلة واعزم نوري باشا أن يقوم بحمل هجومي عليهم وكانت ظروف المجاهدين في هذه الفترة لا تسمح لهم بالهجوم على القوات الإنجليزية إلا أن نوري باشا له نظرة حربية خاصة في هجومه هذا يعرقل مخططاتهم ويتركهم في جهل وغموض من تقدير قوته الحقيقة. وقد فوجئت القوات البريطانية عند وادي مقتلة في مصر يوم الخامس والعشرين من شهر فبراير بهجوم مفاجئ إذا فتحت عليها المدفعية نيرانها الحادة التي اشتدت عند غروب الشمس ولكنها لم تلبث أن سكتت فجأة مع حلول الظلام[2].

لقد اعتمدت القوات الإنجليزية على الأسلحة المتطورة كالطائرات العسكرية في عمليات الكشف والإغارة إلى جانب استعمالهم السيارات العسكرية المصفحة والتي كانت مزودة بالمدافع وهذا ما جعل اختلاف في ميزان القوة بين الطرفين[3].

وتمكنت قوات المجاهدين من الوصول إلى سيوة في أمان تام وكان أول ما عني به قائد المجاهدين محمد صالح حرب في سيوة هو إرسال التمور إلى الجغبوب ليزود المجاهدين هناك[4].

ولحقت القوات الإنجليزية بقوات المجاهدين إلى واحة سيوة ودارت بين الطرفين معركة بتاريخ 08 فيفري 1917م ودامت نحو يوم كامل وانسحب المجاهدين إثرها إلى الجغبوب والتي وصلوها في شهر فيفري، وحاول الإنجليز مطاردة قوات المجاهدين التي انسحبت إلى الغرب نحو الجغبوب وبالقرب منها دارت بينهما آخر معركة في تلك الحرب وهي معركة "**فزت**" إحدى ضواحي الجغبوب ولم يستطيع الإنجليز مواصلة السير والتجئوا بعد ذلك إلى الطرق الدبلوماسية وكان ذلك قبل وصول أحمد الشريف إلى الجغبوب قد أرسلوا له رسالة مطولة تضمنت الشروط

---

[1]- محمد علي الصلابي، (تاريخ) المرجع السابق، ص 233.

[2]- مصطفة الهويدي، المرجع السابق، ص 85.

[3]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 179.

[4]- محمد إبراهيم لطفي، تاريخ حرب طرابلس مطبعة الأمير فاروق مصر، سنة 1976، ص 57.

التي من خلالها تبدأ عملية المفاوضات بين السلطات البريطانية وأحمد الشريف السنوسي، وكانت هاته الرسالة على لسان السيرجون ماكسويل بتاريخ 04 جانفي 1916م وتذكر منها:

1- تسليم جميع الأسرى البريطانيين أو الهنود أو الأوربيين الذين كانوا في يد قوات أحمد الشريف.
2- إبعاد كل الأتراك أو الألمان المتواجدين في ليبيا أو تسليمهم كأسرى حرب.
3- إجلاء جميع القوات المسلحة من الأراضي المصرية، والتعهد بعدم دخول أي رجال مسلحين إلى الأراضي المصرية وفي حال ما إذا دخلوا يعاملوا كأعداء حيثما وجدوا.
4- الخروج الكامل للقوات المجاهدين من سيوة والسلوم وأن يقيموا في الجغبوب بسلام وكانت هاته الشروط التي كتبها ماكسويل قائد الجيش البريطاني في مصر بعد الاستيلاء على معسكر السنوسي واحتلال منطقة السلوم.

بعد فشل الحملتين الشرقية والغربية على مصر و وتدهور الحالة الاقتصادية في برقة ساعدت هاته الأحداث على ظهور الأمير إدريس على مسرح الأحداث وخاصة وأنه كان وكيلا عاما عن أحمد الشريف في برقه، حيث أصبحت البلاد بحاجة ماسة إلى تركيبة قيادته جديدة تجد حلا للمشاكل التي تخبطت فيها البلاد وكتب أحمد الشريف شارحا ما كان يجري في برقة فرد الأخير برسالة مماثلة في أواخر سنة 1916م جاء فيها:

(... أعمل ما تراه مناسبا والحاضر يرى ما لا يراه الغائب وأنا موافق على مطالب أمل الوطن حيث لهم الحق في ذلك ...) [1].

المبحث الثالث: أسباب الهزيمة وتداعياتها:

1اسباب الهزيمة:

لقد تداخلت عدة عوامل وظروف سهلت من فشل حملة أحمد الشريف وحالت دون تحقيق أهدافه:

1- لقد كانت هاته الحملة ارتجالية وتسرع أحمد الشريف في الدخول في الحرب العالمية الأولى إلى جانب المحور والتي لم يكن مستعدا لها عسكريا واقتصاديا ولم تكن هناك خطة إستراتيجية.

[1]- محمد فؤاد شكري، المرجع السابق،،ص 176.

2- لم يكن جيش أحمد الشريف السنوسي على مستوى القدرة القتالية والاستعداد الكامل، بحيث يستطيع أن يخوض حربا مع عدو قوي مزود بأحدث الأسلحة التي كانت جد متطورة مقارنة بقوات أحمد الشريف التي كانت بدائية.

3- إن وعود الأتراك والألمان ذهبت أدراج الرياح ولم تستطيع الغواصات الألمانية أن تقوم بالدور المكلفة بها والمتمثل في تزويد قوات المجاهدين بآليات الحرب ومعداتها التي يستطيع من خلالها الوقوف الند للند أمام القوات الإنجليزية.

4- أن التوقعات التي كانت محتملة عن قيام الشعب المصري بثورة كبيرة ضد الوجود الإنجليزي في مصر ذهبت في مهب الرياح، حيث استطاعت بريطانيا أن تخمد شحنات الغضب الشعبي المصري وهذا من خلال منحهم الأموال الطائلة والحياة والسلطان للعديد من كبار المصريين بالإضافة أن ثورة علي دينار كانت جد متأخرة أكتوبر – نوفمبر 1916م، فكان من السهل القضاء عليها وبعد فشل حملة جمال باشا الشرقية على قناة السويس وفشل حملة الشريف الغربية عبر حدود مصر ومن ناحية أخرى فإن الكثير من المشايخ وأعيان الجهات الجنوبية والغربية من مصر " أسيوط" الغيوم مثلا لم يناصروا حركة الجهاد ضد الإنجليز.

5- إن اختيار نوري باشا لمكان العمليات قرب البحر مكن الإنجليز من استغلاله وبعث المزيد من الحملات سريعة عاجلة. كما أتاح الفرصة لبحريتهم، فشاركت في المعارك لقد كان ميدان المعارك في الجهة الشمالية محصورا بين البحر وعقبة السلوم بما يتجاوز كيلومترات عارضا، فوجدت بذلك قوات المجاهدين نفسها مقيدة الحركة.

6- كان بفشل جمال باشا قائد الجيش التركي في القيام في حملته على قناة السويس أثر كبير في هزيمة قوات أحمد الشريف السنوسي لأن الإنجليز قد انتهوا من الحرب على حدود مصر الشرقية فتفرغوا للحرب على حدودها الغربية وجندوا جميع إمكانياتهم لها.

7- لقد كان ميزان القوى منذ البداية لصالح الإنجليز فقوات المجاهدين كانت منهكة نتيجة حربها مع إيطاليا الذي دام فترة طويلة من سنة 1911م، حتى أواخر سنة 1915م[1].

2/ تداعيات فشل حملة الشريف على حركته الجهادية:

[1]- مصطفى الهويدي، المرجع السباق، ص 94.

لقد انتهت حملة أحمد الشريف السنوسي ضد الإنجليز بالفشل ولقد كان لهاته الحملة أثارا سلبية على سير حركة الجهاد في برقة ضد الإيطاليين ويمكن أن نلخصه في النقاط التالية:

- لقد توقفت حركة الجهاد الليبي في منطقة برقة فترة طويلة من الزمن (أواخر سنة 1915م إلى غاية سنة 1922م وذلك باستثناء بعض المناوشات المحدودة كالتي جرت يوم 05 ديسمبر 1917م، وكذلك الاصطدام المسلح عند موقع سيدي أحمد الطيرة الذي حدث يوم العاشر فبراير 1918م، فضاعت بذلك فرصة مواصلة القتال ضد الإيطاليين خصوصا أنهم كانوا مشغولين بمعارك الحرب الكونية الأولى في أوربا وقواتهم في البلاد الطرابلسية محاصرة في المدن الساحلية وغير قادرة على الحركة وتقديم النجدة والمساعدة ومن سلبيات هذه الحرب على الجهاد أيضا أن جميع الامكانيات التي سخرت لحرب الإنجليز في مصر ضاعت سدى وأضعفت من الطاقة العسركية والقدرة البشرية للمجاهدين، كما انهكت قواتهم العسكرية فصرفت مبالغ كبيرة لتغطية تحركات الحملة ونفقاتها.
- من الناحية الاجتماعية فإن العلاقات الزوجية التي تربط أحمد الشريف بالقبائل المصرية قد اهتزت وتزعزعت بسبب المواجهة بين الطرفين وسقوط القتلى من كل جانب، لأن الجيش الإنجليزي يضم عددا غير قليل من المنتمين لتلك القبائل ومن ناحية أخرى فقد كانت في مصر قبل هذه الحملة حركة مناصرة للطبية الليبية والتعاطف مع المجاهدين، وإظهار قضيته العادلة في الصحافة والنوادي والكتب وكانت الكثير من الجموع الشعبية تؤيد قضيتهم وتتعاطف معهم لدرجة أن البعض من المواطنين المصريين تطوع للعمل والجهاد بين صفوفهم.
- أما من الناحية الدينية فقد أثرت هذه الحملة على السنوسية كطريقة دينية روحية، حيث أن الكثير من الزوايا قد تضررت وتحطمت خاصة في صحراء مصر وتحطم كذلك نفوذها السياسي والديني واتخذت وشجعت الإنجليز من اتخاذ موقف مناوئ ومعاد لها.
- من الناحية الاقتصادية فإن الخط التجاري مع مصر الذي كان عصب الاقتصاد الذي تدعمت منه الحركة الجهادية في برقة لم ينقطع إلا مع بداية دخول تركيا الحرب العالمية الأولى وظهور حركة السيد أحمد الشريف لمهاجمة الإنجليز في مصر، وكان لهذا الانقطاع أثر كبير على المجاهدين وحركتهم الجهادية. [1]

[1]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 98.

- أما من الناحية النفسية فإن هذه الحملة ولدت القهر النفسي لدى معظم المجاهدين في برقة وأحبط معنوياتهم وعزيمتهم وأشعرهم بالندم بما في تلك السيد أحمد الشريف السنوسي ونستدل على ذلك من رسالة له إلى سليمان الباروني بمناسبة فتح هذا الأخير إلى طرابلس وبعض ما جاء فيها:

(... إنني لو استطعت لقضيت عليهم – الطليان – وظهرت الأرض منهم قبل باكر وتعرف أيضا أنه ما تمكن مما تمكن منه إلا بعد حركتنا نحو مصر ولولها ما كنا قذفنا به اليوم في البحر وما كان له أثر ولا خبر ولكن تلك الحركة، الحملة – ولو أنها أفادت الدولة والحملة من وجود كثيرة وشغلنا بها أكبر عدو لمقام الخلافة ناوأها العديد من السنين، إلا أنها كانت سببا لنفوذ الطليان الذي لا يتألم منه أحد أكثر مما أتألم منه ولو أن لي به قوة ما تأخرت يوما عن مناوأته ...) [1].

ونجد أن أحمد الشريف السنوسي من خلال رسالته أنه نادما على حربه ضد الإنجليز التي كان لها تأثير على حركة الجهادية ضد الإيطاليين، وأضعفت تلك الحملة قواته التي تشتت، وكان لها تأثير على تمهيد الطريق للصلح بين إدريس والإنجليز، ويعترف مباشرة بخطئه فيقول:" يخيل إلى أحبابنا أنني أخطأت عندما بائيت بنداء اسطانيول ذلك".

إما من ناحية السياسية : فلقد كان لهاته الحملة خلل واضح في الواقع السياسي في برقة فيعد أن كانت قيادة المجاهدين حلية وقوية ولا تنكسر، وكان هدفها هو محاربة الإيطاليين وتحرير البلاد الطرابلسية فقط، ولا نحني ظهرها ولا تقبل المساومة ولا الصلح، ولا تفاوض ولكن نجد أن بعد الحملة تغير الوضع السياسي إلى الأسوء، وعم يعد للمجاهدين القوة والاستعداد بالقدر الذي يمكنهم من الصمود والإسرار على تحقيق مطالبهم بل اضطروا تحت الضغط إلى المهادنة وقادهم إدريس السنوسي إلى طريق التفاوض والمهادنة والمساومة، ولقد أتاحت هاته الحملة الفرصة لإيطاليا للمشاركة الفعالة في الحرب العالمية الأولى، وذلك أن برقة التي كانت الحض المتيح تنعم فيها الإيطاليون بالسلام فترة طويلة (أواخر 1915م حتى سنة 1922م) ويعترف الإيطاليون كذلك ومن نتائج الحملة السياسية والعسكرية إكراه الإنجليز على حشد قوة عسكرية عدد خمسة وثلاثون ألف من القوات الإنجليزية بكل إمكانياتهم في صحراء مصر الغربية والجنوبية في الوقت الذي كان فين الإنجليز في أمس الحاجة إلى هذه القوات في ميادين أخرى بسبب اشتراكهم في الحرب العالمية الأولى، إن السلبيات التي ترتيب عن الحملة لم يخفف من تأثيرها بعض الإيجابيات التي كانت جانبية الأثر والتي تمثلت في تزايد الوعي والشعور الوطني المصري ؛ حيث كان الكثير

[1] – مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 98.

من أبناء مصر يأمل في قيام ثورة رافضة للوجود الانجليزي، وقد سار فعلا الحماس بين الطبقات الشعبية وكثرت حالات التمرد بين صفوف رجال الجيش وانظم مجموعة من الضباط إلى معسكرات الأتراك في الجهة الغربية[1].

أما الجهة الشرقية فقد تمرد الردفاء المصريين وهم من فئة الشباب الذين أدخلهم الإنجليز إلى الجيش ليدافعوا عن مصر ضد أي هجوم ألماني- تركي، وهرب بعض هؤلاء من الثكنات العسكرية وحاصر قصر السلطان وطالبوا بتسريحهم الفوري والوقوف على الحياد، أما على مستوى الشعبي فقد نسفت الجسور وقطعت الخطوط اللاسلكية ولكن تلك الأمور كانت محدودة الأثر أما بالنسبة للعثمانيين الذين تحمسوا لهذه الحملة وشاركوا فيها مشاركة فعالة وقادوا معظم عملياتها، فقد كانت وبالا عليهم إذ أدت نهايتها المهيبة بنهاية وجودهم في برقة فانتقل بعضهم مع السيد أحمد الشريف إلى هون وسوكنة أما البعض الآخر فانتقل مع نوري باشا إلى مصراتة[2].

وكخلاصة لهذا الفصل نستنتج أن الحرب العالمية الاولى كانت لها تداعيات وانعكسات على مسار الحركة الجهادية لاحمد الشريف السنوسي الذي أقحم من طرف الاتراك والالمان، لانهما كانتا تدركان قيمة هذا الرجل، وثقل وزنه خاصة في الجهة الشرقية من ليبيا والتي كانت معقلا للمقاومة ضد الطليان، وبالرغم من ان السنوسي لم يكن يرغب في الدخول في هاته الحرب، ادراكا منه انها لا تعنيه وان هدفه هو محاربة الاحتلال الايطالي بالدرجة الاولى، وان علاقاته مع الانجليز في مصر كانت جد حسنة، والحدود المصرية كانت الممول الوحيد لمقاومته الا انه وجد نفسه يدخل في هاته الحرب مجبرا لا مخير، وهذا نتيجة المكائد التي أتبعها الضباط الاتراك لتجعله أمام الأمر الواقع.

[1]- نفسه، ص 99.

[2]- مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص 99.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

لقد اقترن تاريخ الحركة الجهادية في ليبيا بفترة تولي أحمد الشريف السنوسي امامة الحركة ا حيث أنه واصل مقاومته للفرنسيين في منطقة تشاد ، والذي اتخذ من الكفرة مركزا متفدما لمقاومته، وما إن وصل إلى مسامعه الغزو الإيطالي لليبيا انسحب إلى الشمال رفقة قواته من أجل دحر شوكة الطيليان ،التي سخر كل جهوده من أجل تحرير بلاده، ولكن ما إن اندلعت الحرب الكونية الأولى حتى تورط في حرب ثالثة ضد الأنجليز في مصر والتي كانت لها تداعيات على مسار حركته الجهادية ضد الإيطاليين ، ومن خلال دراستنا هذه نستنتج مجموعة من النقاط.

- أن الحركة السنوسية هي حركة دينية ودعوية وتطورت وأصبحت جهادية لذلك لم تكن مقتصرة على ليبيا فقط بل تعدى مجالها الجغرافي إلى المغرب العربي وإفريقيا السوداء.
- لقد تأسست هاته الحركة من طرف مؤسسها محمد بن علي السنوسي، ذو الأصول الجزائرية، بحيث أنها تزامن مع الفترة الحرجة التي عاشها العالم الاسلامي.
- إن معظم أئمة الحركة لهم نفس النهج والتصور والرؤى.
- أن أحمد الشريف السنوسي وهو محل الدراسة قاوم الاستعمار الفرنسي رفقة عمه المهدي وعندما توفي عمه وتقلد الرئاسة وقف الند للند أمام الزحف الفرنسي في تشاد ، وخاض عدة معارك طاحنة وكاد أن ينجح لولا سياسة التي اتبعتها فرنسا اتجاه القبائل هناك سياسة فرق تسد والتي اتبعتها مع كل مستعمراتها.
- قاوم أحمد الشريف الاحتلال الإيطالي برفقة الأتراك وا ستطاعوا أن يصدوا الهجمات الإيطالية واشتركت القوتان في عدة معارك.
- إن انسحاب الأتراك وتوقيع معاهدة الصلح أوشي لوزان ،كان له الأثر البالغ على مسار المقاومة وتولى أحمد الشريف زمام السلطة السياسية بعد الفراغ الذي تركه الأتراك، بحيث زاد نفوذه في منطقة برقه.
- أن تعيين احمد الشريف كنائب للسلطان العثماني في إفريقيا جعله يحكم سلطته السياسية والإدارية في المنطقة ويقلد عائلته الكثير من المناصب.

- أن نية الأتراك والألمان في اقحام أحمد الشريف في الحرب ضد الأنجليز في مصر كان مبنية على المصلحة والبراغماتية ولم يكن يهمهم لا الشعب الليبي ولا القضية الليبية، إنما أرادوا أن يستعملوا أحمد الشريف كمطية لتحقيق أهدافهم.
- دخول أحمد الشريف في تلك الحرب كان خطأ خاصة وأنه صدر من رجل صاحب قلم وعلم وسيف فهو سياسي وعسكري محنك وكان عليه أن لا يدخل هاته الحرب التي أثرت على حركته الجهادية في ليبيا وقزمت من مكانته الدينية والسياسية داخليا وخارجيا ، مما أدى إلى تخليه عن رئاسة الحركة ويسلم مقاليدها إلى إدريس.
- إن إيطاليا استفادت من حرب أحمد الشريف ضد الإنجليز، حيث أنها استطاعت فيما بعد ان تدخل مع هدنة من إدريس.
- إن الحركة الجهادية لأحمد الشريف ضد الإيطاليين كادت أن تحقق انتصارات باهرة لولا حملته ضد الإنجليز واستغلال الإيطاليين الظرفية لبسط نفوذهم على ليبيا لفترة طويلة.

الملاحق

الملحق رقم :(1) خريطة جغرافية لموقع ليبيا.

المرجع : بوزبوجة سميرة ، مرجع سابق، ص 302.

الملحق رقم : 02 الأقاليم الجغرافية لليبيا

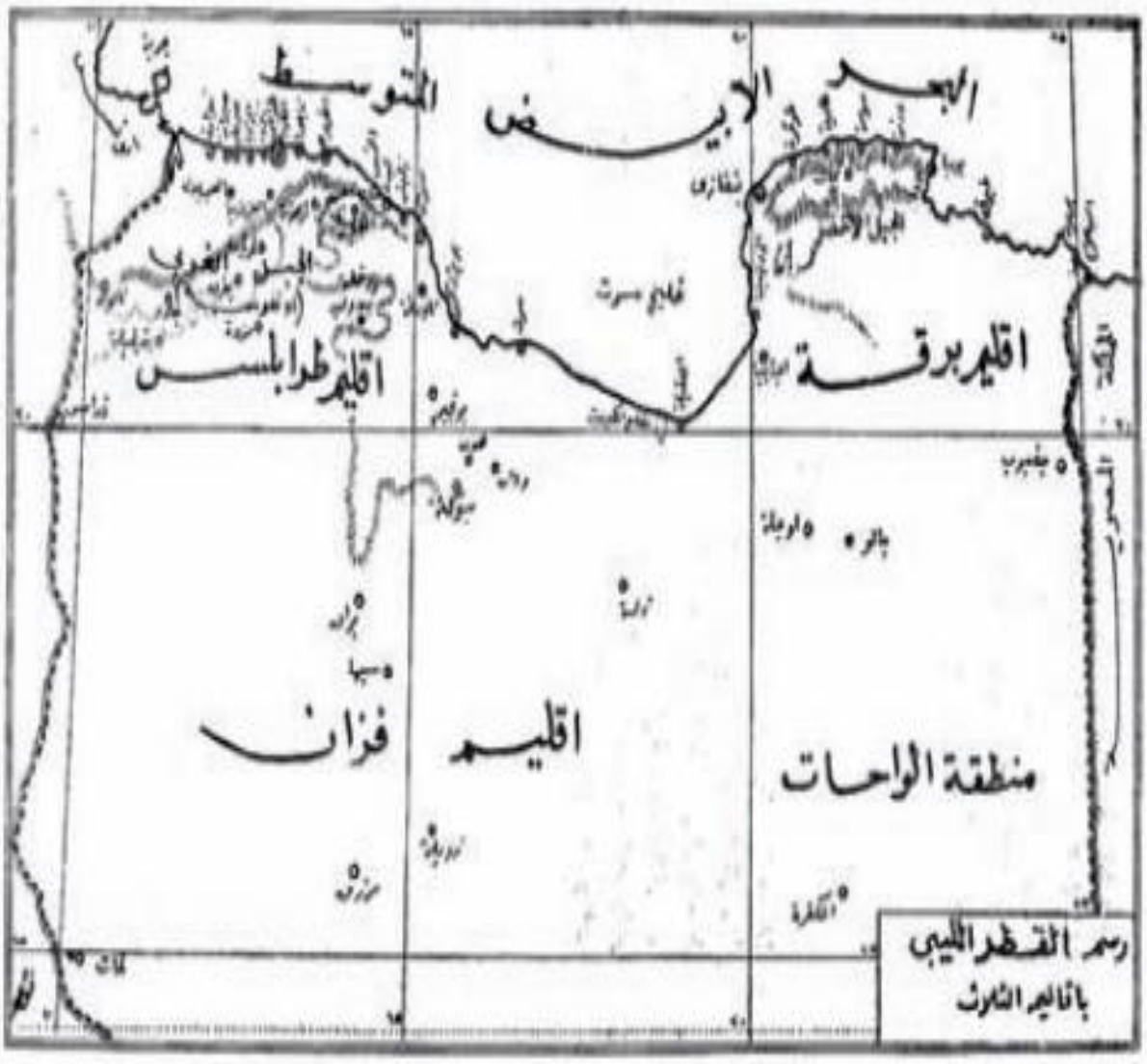

خريطة ليبيا بأقليمها الثلاثة

المرجع: محمد بن المسعود، المرجع السابق، ص 16.

الملحق رقم :03 أهم الطرق والمعارك الفرنسية السنوسية.

المرجع: بن المبروك النوي ،المرجع السابق، ص195.

الملحق رقم :04 منشور السلطان العثماني حول منح استقلال الذاتي لطرابلس.

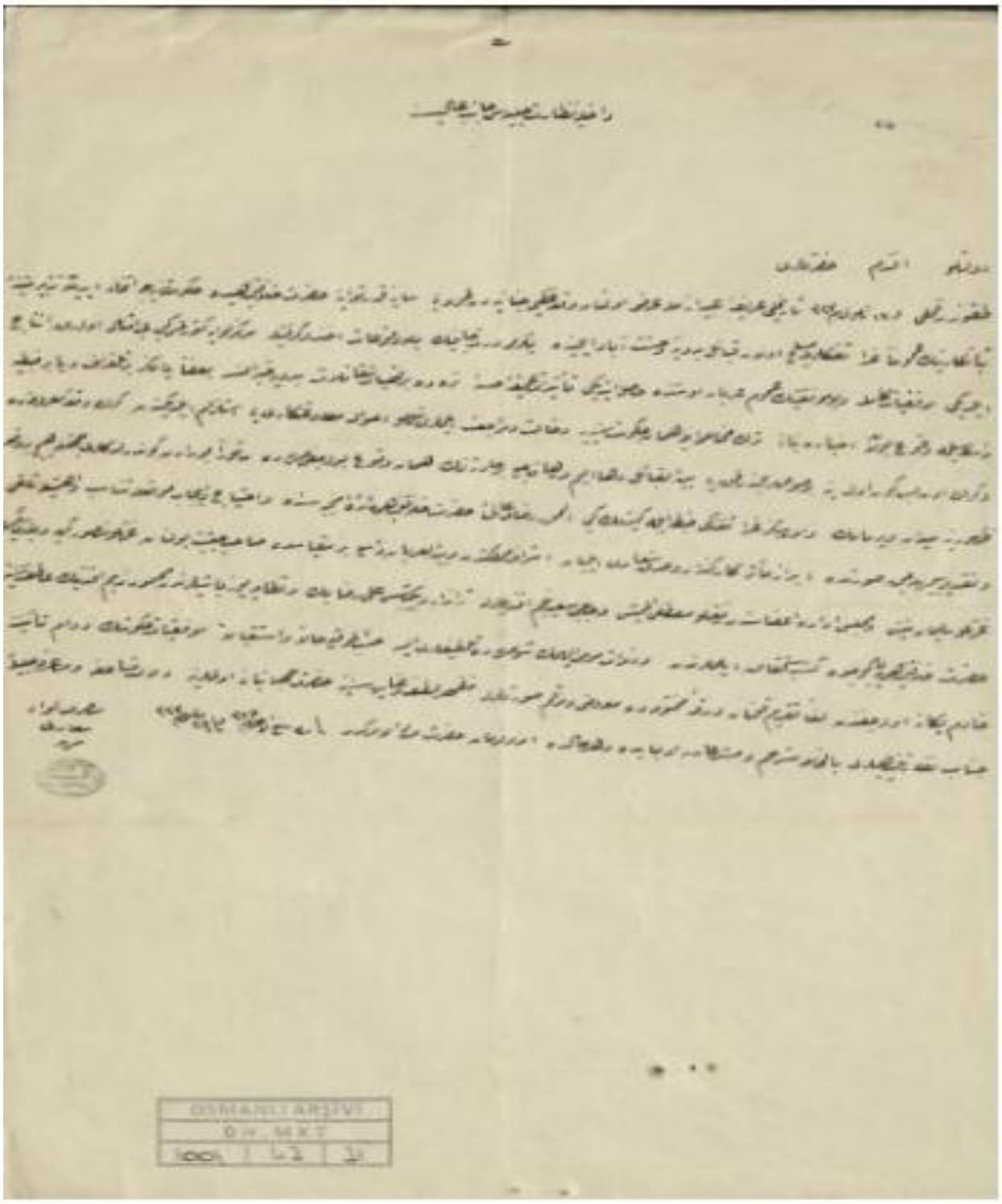

المرجع: سميرة بوزبوجة، المرجع السابق، ص 306.

الملحق رقم (5) :

يوضح الجدول التالي بعض المعارك لقيادة السنوسي:

تاريخ المعركة		اسم المعركة
26 مارس	1912	معركة قاريونس
14 أفريل	1912	معركة بنينة
22 أفريل	1912	معركة الرجيمة
26 أفريل	1912	معركة الأبيار
18 جويلية	1912	معركة البويرات بالجبل الأخضر
24 ماي	1912	معركة زاوية ترث غرب القبة بالجبل الأخضر
01 جوان	1912	معركة الصفصاف
15 جويلية	1912	معركة شمال الأبيار
19 أوت	1912	معركة المرج
16 سبتمبر	1912	معركة تاكسني بالجبل الأخضر
27 سبتمبر	1912	معركة سيدي رافع بالبيضاء

المرجع : معجم المعارك الجهاد في ليبيا ، من 1911-1931م ، ب ط ، الدار العربية للكتاب ، ب ب، 1983 ، ص104 ، وما يليها من صفحات 404 بتصرف الطالب .

الملحق رقم:06

السيد أحمد الشريف السنوسي نائب الخليفة في القارة الأفريقية.

المرجع : مصطفى علي الهويدي ، المرجع السابق، ص 56.

الملحق رقم:07 خريطة للحدود الليبية المصرية أثناء الحرب العالمية الأولى.

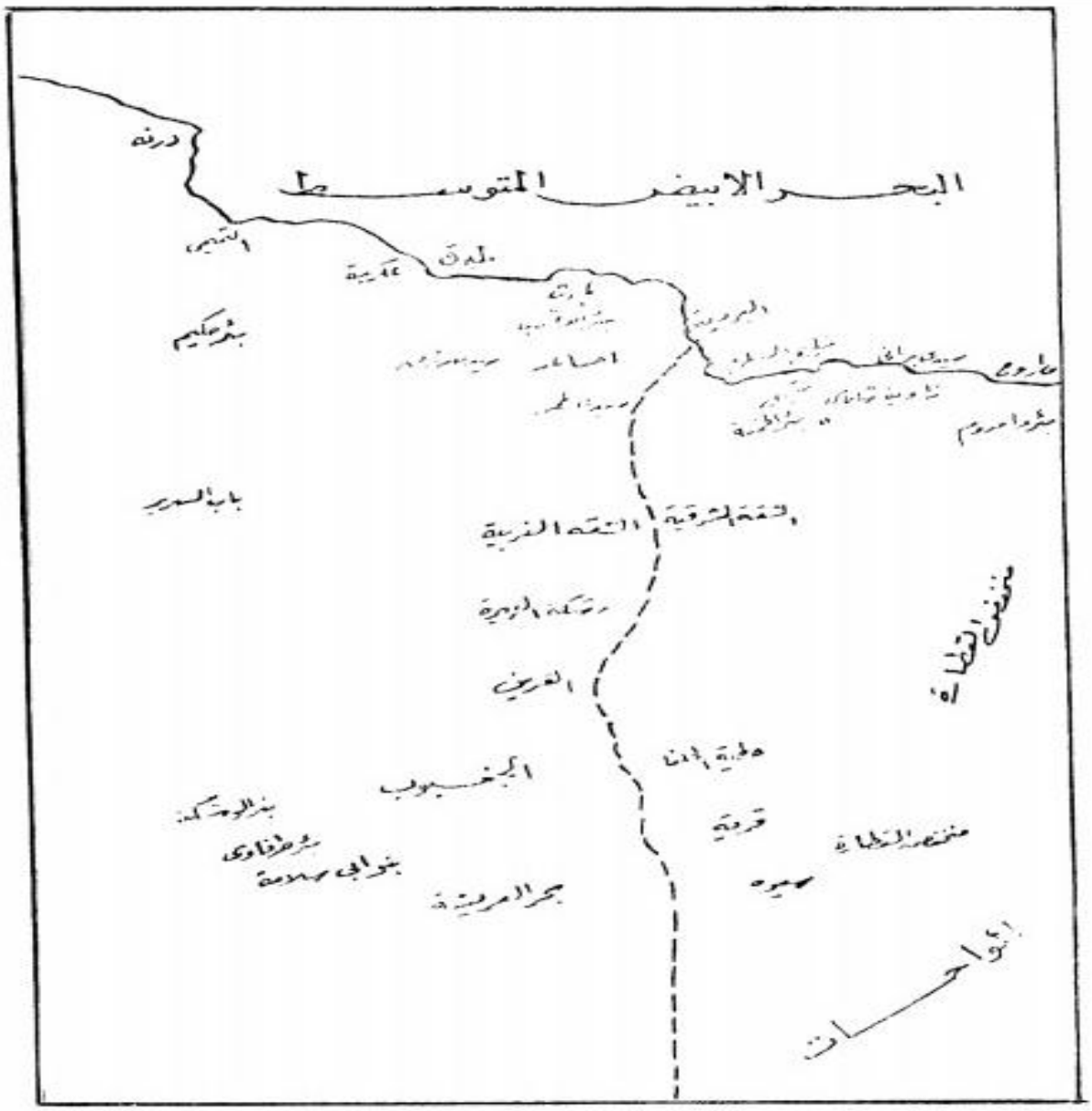

مناطق الحدود الليبية المصرية أثناء الحرب العالمية الأولى

المرجع: علي مصطفى الهويدي، المرجع السابق، ص70 .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر باللغة العربية :

1- الأشهب محمد الطيب، السنوسي الكبير ، مطبعة محمد عابق، ميدان جريتل، القاهرة ، د ط ، د ت.

2- الأشهب محمد الطيب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري القاهرة، سنة 1947م.

3- الأنصاري أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، بدون تاريخ.

4- باشا أنور مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، تق. عبد الله المولى صالح الحرير مراجعة وداعة الحسناوي، طرابلس.

5- التليسي خليفة، معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911-1931م) ، بدون طبعة، ب م ، الدار العربية للكتاب، 1983م.

الجزء الثاني، دار الفكر ، المجلد الأول ،بيروت، 1973م

6- الزاوي الطاهر أحمد، جهاد الأبطال في طرابلس، الطبعة الثالثة ، دار التراث العربي، ليبيا ،دار الفتح ، بيروت، 1973م .

7- ستودارد لوثروب، حاشر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، الطبعة الثالثة،

8- فيرو شارل، الحوليات الليبية ، ترجمة، محمد عبد الكريم الوافي، الطبعة الثالثة، بنغازي، ليبيا، منشورات قار يونس، 1994م.

قائمة المصادر باللغة الأجنبية

9. Georges hertz, L'Algérie des nomades et ksourienne , Imp. a. Robert, Marseille, 1989...

قائمة المراجع باللغة العربية :

10. أرسلان شكيب ، خلاصة رحلة المرحوم أحمد الشريف السنوسي، الطبعة الأولى،الدار التقدمية المختارة- الشوف- لبنان، 2010.

11. باخيموفيتش ز.ب، الحرب التركية الإيطالية ، (1911م-1912م) ترجمة ، صالح التكريتي، منشورات الجامعية الليبية، بيروت ، 1970م.

12. بازمة محمد مصطفى، بداية المأساة ، ط1، بنغازي، المطبعة الأهلية ، 1971م.

13. البرغوثي عبد اللطيف محمد، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، تمنغناست ، ب س.

14. بروشين نيكولاي إيلتش، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة وتقديم عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ليبيا ، 2001م.

15. بروشين، ليبيا في العصر الحديث من منتصف اقرن السادس عشر حتى مطل الفرن لعشرين م ج ل و ت

16. بن المسعود محمد ، تاريخ ليبيا العالم من القرن الأول إلى العصر الحاضر، تقديم، فاضل المسعودي، ط 1، طرابلس الغرب المطبعة العسكرية ، 1948م .

17. بن علي عبد القادر، فوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ، مطبعة دار الجزائر العربية دمشق، (1336هـ – 1966م).

18. الجمل شوقي عطاء الله، المغرب العربي الكبير، ط1، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1977م.

19. الجمل شوقي عطاءالله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديثة والمعاصرة، الرياض ، 2002م.

20. جودة حسنين ، العالم العربي دراسة في الجغرافيا الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1982م.

21. حافظ البوري عبد المنصف، الغزو الإيطالي لليبيا، الدار العربية للكتاب، ط1، 1983م.

22. حمدان جمال، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية العظمى، دراسة في الجغرافيا السياسية، دط، مكتبة مديوني، القاهرة ، 1996م.

23. الدجاني أحمد صدقي، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان للطباعة والنشر ، ليبيا، 1967م.

24. الدسوقي ناهد إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، ط1، إسكندرية، المعارف الجامعية، 2008م.

25. راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004م.

26. رشدي راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط3، المملكة الليبية المتحدة، 1952م.

27. روسي أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة وتقديم خليفة التليسي الدار العربية للكتاب ، 1974م.

28. زاهر رياض ، استعمار إفريقية ،الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ، ب ط، 1965م.

29. الزائدي محمد رجب، الغزو الإيطالي لليبيا مقدماته وغايته ، ط1، بنغازي ، دار الكتاب الليبي ، 1974م.

30. زليفر كلود ، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا ، 1500 ، 1799 اورودجي تدر ، جاد الله عزوز الطلحي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراتة، 2001،

31. زيادة نيقولا، برقة الدولة العربية الثامنة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ، 2002م.

32. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 4، الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

33. سنو عبد الرؤوف ، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر وعشرون ، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007م.

34. شكري محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998م.

35. الشيخ رأفت، تاريخ العرب الحديث بين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1994م.

36. صالحية محمد عيسى ، صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، الحولية الأولى، 1980م.

37. الصلابي علي محمد، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، الجزء2، مكتبة الصحابة مكتبة تابعي الإمارات، 2001م.

38. الصلابي علي محمد، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، بيروت دار المعرفة لبنان، 2009م.

39. الصلابي علي محمد، صفحات من التاريخ الإسلامي شمال إفريقيا، الحركة السنوسية في ليبيا، الجزء2،

40. عجيل أمال ، قصة وتاريخ الحضارة العربية ، ليبيا– السودان – المغرب– بيروت، سنة 1999م.

41. العجيلي التليلي، صدى حركة الجامعة في المغرب العربي(1876م– 1918م)، دار الجنوب للنشر تونس، 2005م.

42. فيلار هنري سيرالنو ، ليبيا المملكة العربية الجديدة، ترجمة، عثمان المثلوثي، منشورات المدى، ليبيا، ط1، سنة 2013م.

43. القشاط محمد السعيد ، أعلام من الصحراء، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997م.

44. القشاط محمد سعيد، ليبيون في الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ، الدار العربية للموسوعات ، 2008م.

45. لطفي لمصري محمد إبراهيم، تاريخ حرب طرابلس، ط1، مطبعة الأمير فاروق ، القاهرة ، 1936م.

46. مارتي بول ، دور العرب في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء، للقارة الإفريقية، ترجمة محمد عبد السلام العلاقي، جمعية الدعوى الإسلامية العالمية ، الجماهيرية الليبية، (1369هـ-2001م).

47. المدلل أحمد عطية ، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881م- 1951م) الجزء الثاني، م .ج.ل. ت، الطبعة الأولى، الجماهيرية الليبية ، 2007م.

48. المنتصر خليفة عبد المجيد، ليبيا قبل المحنة وبعدها، سلسلة الكتاب الليبي، ب ط ، مصلحة المطابع طرابلس، 1963م.

49. المهداوي محمد المبروك، جغرافيا ليبيا البشرية، الطبعة الثالثة، قسم الجغرافيا جامعة قار يونس بنغازي، 1998م.

50. هويدي مصطفى، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، ليبيا ، 1988م.

51. يحي جلال، المغرب العربي الكبير، الجزء 3، الإسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م.

المراجع باللغة الأجنبية:

52. Hollis christopher, Italy in Africa, London, 1941.

53. Jean Chapelle, Nomades Noires du sahara les Toubous, L'harmattan Paris, 1982, P,107.

الدوريات:

54. ألأسدي سلام محمد علي حمزة، الغزو الإيطالي لليبيا بين التسويات الدولية والاستعداد العسكري (1878- 1911م) **مجلة كلية التربية الأساسية** ، جامعة القادسية ، كلية التربية جويلية ، 2013م.

55. بوضرساية بوعزة ، مؤتمر طرق الحج في افريقيا ،مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، السودان ،2016.

56. الحسناوي ظاهر محمد صكر، الحرب السنوسية – الفرنسية في الصحراء الكبرى، (1837-1913)، **مجلة الأستاذ**، جامعة بغداد ، كلية التربية بن رشد للعلوم الإنسانية، العدد 217، المجلد الأول، 2016م-1437هـ.

57. دياب أحمد إبراهيم، تاريخ الاستعمار الأوربي في ليبيا الاحتلال الإيطالي لليبيا ، **مجلة الدراسات الخرطوم** ، العدد السادس، فبراير ، 1990م.

58. الرحيبي عبد الرزاق علي، أهمية الموقع إستراتيجية المكان، **المجلة الجامعة**، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، العدد الثامن، 2006م.

59. لعبيدي جاسم محمد ، المواقف العثمانية إزاء الدعوى السنوسية (1841م- 1911م) **مجلة جامعة كربلاء العلمية**، العدد الثاني، جامعة كربلاء، 2015م.

الأطروحات الأكاديمية:

60. بن المبروك النوي، الاحتلال الفرنسي لتشاد، (1890-1920)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ لمعاصر، دراسات أفريقية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة ، 2009.

61. بوزبوجة سميرة ، الطريقة السنوسية من 1911 – 1951 م ومواقفها من قضايا العصر، محليا – إقليميا- دوليا، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة وهران ، 2017-2018.

62. دحي مسعود، البعد الجهادي ألمغاربي للطريقة السنوسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، يوسف بن خدة، الجزائر، 2009.

63. الرحيبي عبد الرزاق ، السكان والتنمية في ليبيا، (1999-2009) ، أطروحة الدكتوراه، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية ، جمعة منتوري ، قسنطينة، (2005-2006)..

الفهارس

فهرس الأعلام:

(أ)

أحمد القرملي: 22

أحمد الشريف السنوسي : أ – 18 – 19 – 25 – 33 – 34 -35 – 39 -42 - 56-61 – 64 – 72 – 82 - 85

أحمد بن إدريس : ص15

الإغـــــــــريق: 6

أنور بك: 60 – 61 – 66 – 81

(ب)

بوعقية الزاوي: 34

(ت)

التجانية : 25

(ح)

الحركة السنوسية: أ – 10 – 15 – 17 – 21 – 24 – 25- 27 – 28 - 29

حقي باشا : 23 – 53

(خ)

خديجـــــة الحسنة : 15

(د)

داود مره: 37 – 39

ديو فلتان : ص6

(ر)

رابح بن الزوبير: 30 – 31 – 32 - 35

(س)

سليمان الباروني: 69 – 82

(ع)

عبد الله طوير: 34 – 42

(م)

محمد إدريس: ص18

محمد البراني الساعدي: 33 – 34

محمد المهدي: ص17 - 24 – 26 – 27 – 28 – 30 – 31 -35

محمد بن عبد السني: ص31 –

محمد بن علي السنوسي : أ – ص12 - 18

محمد صالح حرب: 76 – 77

فهرس الأماكن :

(أ)

الأغـــواط: 13

ألمانيا: 64 – 65 – 68 – 71 – 80 – 84 - 85

إنجلترا : 43 - 56 – 65 – 66 -83 - 85

إيطاليا: 22- 46 – 47 – 48 -51 – 85

(ب)

الباقرمي: 36

برقـــــة : 6 – 7 – 9 – 30 – 54 – 80 - 82

برقو: 25 - 33

بنغـــــــازي: 10 – 15

بئر العلالي : 26 – 27 – 33 - 34

(ت)

تشـــــــاد : 7 – 10 – 24 – 29 -30 – 32 – 38 -39 - 85

تلمســان : 12

تونـــــس : 7 – 14 – 23 – 28 – 44

(ج)

الجغبوب : 17 -24 – 27 – 30 – 61 – 69 – 79

(ح)

الحجـــاز : 14

(د)

الدولة العثمانية: 17 – 22 – 52 – 53 – 55 – 58 – 60 – 64 – 73

(ز)

الزاوية البيضاء : 17

(س)

السلوم: 62 – 66 – 70 – 72 -76

السودان الغربي : أ - 24 -25 – 26 – 31 –

(ش)

شلـــــف : 12

الشمالي الإفريقي : 6 – 44 – 71

(ط)

طرابلس الغرب : أ - 8 –15 – 22 – 43 – 45

(ع)

عين كلكة: 36

عين ماضي : ص13

(ف)

فـــــاس : 13

فـــــزان : 6 – 9 - 27 – 44

(ق)

قرو: 25 - 27 – 33

(ك)

كانم: 24 – 27 – 30 – 31 – 32 – 33- 36

كوار : 24 – 32

(م)

مستغانـم : 12

مصـــر : 28 – 43 – 68 – 72 - 84 -85

(ن)

النيجـــــر : 7 – 24 – 33

(و)

وداي : 27 – 30 – 31 – 36 - 39

الفهرس

فهرس المحتوى :

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ-هـ
الفصل التمهيدي	
المبحث الأول: :دراسة جغرافية لليبيا	6
أصل التسمية	6
الموقع والمساحة	7
المناخ والتضاريس	7
الأقاليم الجغرافية في ليبيا	9
أهمية الموقع	10
المبحث الثاني: الطريقة السنوسية ومؤسسها	10
تعريف الطريقة السنوسية	10
خصائصها ومبادئها ومؤسسها	11
أئمة الطريقة السنوسية	17
موقف الدولة العثمانية من الحركة السنوسية	19
المبحث الثالث: أوضاع ليبيا قبل الاحتلال	21
الأوضاع السياسية	21
1- الأوضاع العسكرية	22
الأوضاع الاجتماعية والثقافية	23
الفصل الأول: مقاومة أحمد الشريف للفرنسيين في تشاد	
المبحث الأول: انتشار الحركة السنوسية في الصحراء الكبرى	24
مراكز نفوذها في السودان الغربي	24
موقف الدول الأوربية من الحركة السنوسية	28
المبحث الثاني:جهاد أحمد الشريف ضد الفرنسيين في فترة إمامة المهدي	30
إستراتيجية السنوسية في مقاومة الفرنسيين في تشاد	30
الصدام السنوسي الفرنسي في كانم	32
المبحث الثالث: مقاومة أحمد الشريف للفرنسيين في تشاد في فترة إمامته	35
إستراتيجيته في مهاجمة الفرنسيين	35
الصدام الفرنسي السنوسي في المنطقة الودادية	36

ب – الصدام السنوسي الفرنسي في عين كلك	40
الفصل الثاني: مقاومة أحمد الشريف للاحتلال الإيطالي	
المبحث الأول: اتفاقية التسوية الدولية ودوافع احتلال ليبيا	43
1- اتفاقية السنوسية لاحتلال ليبيا	43
2- دوافع احتلال ليبيا	46
المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية في احتلال ليبيا ومواقف الدول الأوربية	50
1- سياسة التغلغل السلمي	50
2- الغزو العسكري لليبيا	52
3- موقف الدول الأوربية من الاحتلال الإيطالي	55
المبحث الثالث: أحمد الشريف ومقاومته للايطاليين	56
1- موقف أحمد الشريف من الاستعمار الإيطالي	56
2- معاهدة أوشي لوزان وانسحاب الأتراك	58
3- موقفه من انسحاب الأتراك	61
الفصل الثالث: حملة أحمد الشريف ضد الانجليز في مصر	
المبحث الأول : ليبيا والحرب العالمية الأولى	66
1- موقف أحمد الشريف السنوسي من الحرب العالمية الأولى	66
2- دور الأتراك في إقحام أحمد الشريف ضد الإنجليز	70
المبحث الثاني: حملته ضد الإنجليز	75
1- إقحامه في الحرب	78
2- فشل الحملة أحمد الشريف	81
المبحث الثالث: أسباب الهزيمة وتداعياتها على مساره الجهادي	81
1- أسباب هزيمة حملته ضد الإنجليز في مصر	81
2- تداعياتها على مساره الجهادي ضد الإيطاليين	82
الخاتمة	85
الملاحق	89
قائمة المصادر والمراجع	97
الفهرس	104

Abstract:

The history of the jihadi movement in Libya has been associated with the period when Ahmed Al-Sharif Al-Senussi assumed the leadership of the movement, as he continued his resistance to the French in the Chad region, and he took from the infidels a pivotal position to resist him. , Which mocked all his efforts to liberate his country, but once the first global war broke out, he became involved in a third war against the British in Egypt, which had repercussions on the course of his jihadist movement against the Italians, and through this study we conclude a set of points.

The Senussi movement is a religious and advocacy movement that developed and became a jihad, therefore it was not confined to Libya only, but went beyond its geographical field to the Arab Maghreb and Black Africa.

This movement was founded by its founder, Muhammad Bin Ali Al-Senussi, who is of Algerian origin, as it coincided with the critical period in which the Islamic world lived.

That Ahmed Al-Sharif Al-Senussi, who is the subject of the study, resisted the French colonization, accompanied by his uncle Al-Mahdi. .

Ahmed Al-Sharif resisted the Italian occupation with the Turks, and they were able to repel the Italian attacks. The two forces participated in several battles.

The withdrawal of the Turks and the signing of the Peace Treaty, Oshi Lausanne, had a profound impact on the path of resistance, and Ahmed Sharif took over the political power after the vacuum left by the Turks, increasing his influence in the Barqa region.

The appointment of Ahmad al-Sharif as deputy to the Ottoman sultan in Africa made him rule his political and administrative authority in the region and held his family many positions.

The intention of the Turks and Germans to involve Ahmed Al-Sharif in the war against the British in Egypt was based on interest and pragmatism, and they were not interested in either the Libyan people or the Libyan issue, but they wanted to use Ahmed Al-Sharif as a foothold to achieve their goals.

The jihad movement of Ahmed al-Sharif against the Italians almost achieved brilliant victories had it not been for his campaign against the British and the Italians taking advantage of circumstantial influence over Libya for a long time